فن الحرب

The Art of War

Sun tzu سون تزو

إعداد وترجمة: رءوف شبايك

الفهرس

الإهداء

هذا العمل استمر على مدى سنوات طوال، والقصد منه وجه الله تعالى، وخدمة الإسلام والمسلمين، وهو مجهود فردي، ساعدنا فيه بعض الإخوة الأفاضل الذين ندين لهم بالفضل، ولذا فمن وجد فيه خيرا فالحمد لله، ومن وجد غير ذلك فله الشكر إن نبهنا إليه.

في حلقة من حلقات صناع الحياة، نبهنا أخونا الفاضل عمرو خالد إلى أن العلماء المسلمين الأوائل كانوا يكتبون ويترجمون على الأقل في كل سنة كتاب، وكانوا يقضون عمرهم كله في تحري العلم وتعلمه وتدريسه، وسأل المشاهدين والمستمعين: ماذا فعلنا نحن مسلمو اليوم؟ وهذه إجابتي.

المترجم: رءوف شبايك في ١٧ مايو ٢٠٠٦

موقعي: Shabayek.com

بريدي: Shabayek@gmail.com

المقدمة

الزمان: القرن الخامس قبل الميلاد
المكان: مملكة تشي (الصين حالياً -ومنها أصل كلمة تشاينا الإنجليزية)

تروي لنا المخطوطات الصينية أن سون تزو ووه كان مواطناً و جندياً في مملكة تشي، وبسبب ذيوع خبرته في فنون الحروب والقتال طلب منه الملك هوو لوو أن يضع خلاصة خبرته وتجاربه في كتاب، فكان الكتاب "**فن الحرب**" ذو الثلاثة عشر فصلاً، فلما انتهى سون تزو من كتابته سأله الملك هوو لوو قائلاً: "لقد قرأت كتابك: فن الحرب، فهل يمكنني وضع نظرياتك عن إدارة الجنود تحت اختبار بسيط؟" بالإيجاب جاء جواب سون تزو، فسأله الملك مرة أخرى: "وهل يمكننا إجراء الاختبار على النساء ؟" فلم تتغير إجابة سون تزو!

على الفور، تم تجهيز ١٨٠ امرأة من جواري قصر الملك؛ قسمهن سون تزو إلى مجموعتين، وعين على رأس كلتا المجموعتين إحدى المحظيات من الجواري، ثم أمرهن بأن يتسلحن بالحراب في أيديهن، ثم خطبهن قائلاً: "أعتقد أنكن تعلمن الفرق بين المقدمة والمؤخرة، اليد اليمنى واليد اليسرى ؟" أجابته النسوة: " نعم!".

فمضى سون تزو قائلاً: "عندما أقول: **انظرن أمامكن**، فيجب عليكن النظر للأمام ؛ وعندما أقول "**درن لليسار**" فيجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليسرى، وعندما أقول "**درن لليمين**" فيجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليمنى، وعندما أقول "**درن للخاف**" فيجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليمنى إلى ورائكن". فأجابته النسوة بأنهن قد فهمن كلمات الأوامر التي قد شرحها لهن .

قام سون تزو بإعداد الترتيبات من أجل بدء التدريب العسكري، ثم على دقات الطبول أعطى أوامره "دُرن لليمين" لكن النساء انفجرن في الضحك ولم ينفذن الأمر، فعقّب سون تزو قائلاً: "**إذا كانت كلمات الأوامر غير واضحة ومميزة، إذا كانت الأوامر غير مفهومة فهماً شاملاً، فيقع اللوم على القائد**".

ثم أكمل تدريبهن فأعطى أوامره "دُرن لليسار" لكن النساء انفجرن في موجات من الضحك ولم ينفذن الأمر، فعقّب سون تزو قائلاً: "**إذا كانت الأوامر واضحة ومميزة، إذا كانت الأوامر مفهومة فهماً شاملاً ولم ينفذ الجنود الأوامر، فالخطأ يقع على الجنود**".

أمر سون تزو بقطع رقبة قائدتي كلتا المجموعتين أمام النسوة!

كان الملك يراقب التدريبات من مكان قريب، ولم يسره خسارة جاريتيه المحظيتين عنده، فأرسل إلى سون تزو قائلاً: "لقد أصبحت واثقاً من قدرتك على التعامل مع الجنود، ولن يلذ لي طعام أو شراب بدون هاتين الجاريتين، لذا فإني أرغب في توفير حياتهما!".

أرسل سون تزو مجيباً رسالة الملك: "بتكليفكم لي قيادة قواتكم العسكرية، فإن هناك بعض أوامركم التي لا يمكنني قبولها وأنا تحت هذا التكليف".

وتم إعدام القائدتين أمام النسوة.

وعلى الفور تم تعيين من تليهن في الحظوة لدى الملك كقائدتين للمجموعتين، وتم استئناف التدريب على صوت الطبول فلم يضحك أحد، وتقدمت النسوة في التدريبات العسكرية بكل دقة وانضباط دون أن يخاطرن بإصدار أي صوت!

ثم أرسل سون تزو رسالة إلى الملك قائلاً: "لقد تم تدريب وتنظيم النسوة، وهن الآن على أتم الاستعداد لكي تستعرضهن، يمكنكم الآن استخدامهن في أي غرض يشاؤه مليكهن، أصدر لهن الأمر فيخضن خلال الماء والنار".

إلا إن الملك رد عليه: "فليعُد قائد الجيوش ولُينهى التدريب، بالنسبة لنا فلا رغبة عندي في استعراض النسوة".

عندئذ قال سون تزو: "**إن الملك مغرم فقط بالكلمات، لا يستطيع ترجمتها إلى أفعال**".

استقر في ذهن الملك هوو لوو تمكن سون تزو من إدارة الجنود، فعينه القائد العام للجيوش، وأرسله ليحارب مملكة تشوو المجاورة فهزمها و شق طريقه إلى عاصمتها ينج، ثم إلى الشمال حيث زرع الخوف في مملكتي تشى و تشن ومن نصر إلى آخر فذاع صيت سون تزو وتوسعت مملكة هوو لوو.

تروى لنا المخطوطات الصينية كذلك كيف انتصر سون تزو بجيش قوامه ٣٠ ألف جندي على جيش عدوه الذي قوامه ٢٠٠ ألف جندي، بسبب افتقار عدوه إلى عنصر التنظيم والإدارة.

يشتمل كتاب "**فن الحرب**" على ستة آلاف جملة /مقطع، ضمن ١٣ باب /مقالة، يجسد خلالها الأفكار العسكرية لسون تزو، واحتوى كذلك من بعده على شرح وتعليق من كبار القادة العسكريين الصينيين الذي تلوا سون تزو. تم إطلاق اسم "**أول كتاب عسكري قديم في العالم**" على فن الحرب، وكذلك "**الكتاب المقدس للدراسات العسكرية**"، وتم استخدام الأفكار النظرية والأفكار الفلسفية التي جاء بها الكتاب في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها بصورة واسعة.

أول خروج لكتاب فن الحرب من منشأه في الصين كان إلى اليابان، حيث عكف كبار ثلاثي الساموراي على دراسته وتطبيقه لتوحيد اليابان تحت راية واحدة، ثم في عام ١٧٧٢ تمت ترجمته إلى اللغة الفرنسية على يد قسيس فرنسي، وبعدها بقليل تمت ترجمته إلى الإنجليزية والألمانية، وذاع صيته في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى، التي أكد الكثيرون من

الخبراء العسكريين أن الكثير من المذابح التي شابت الحرب العالمية الأولى كان يمكن تجنبها لو توفر مثل هذا الكتاب وقتها للقادة العسكريين والمخططين ومتخذي القرار، لكن توفر هذا الكتاب للقادة العسكريين في الحرب العالمية الثانية لم يفلح في تجنيب العالم ويلات المذابح والمغامرات الحربية الفاشلة.

فهم هذا الكتاب على وجهه الصحيح يتطلب معرفة أن **اللغة الصينية تكتب من أعلى لأسفل،** ومن اليسار لليمين، وأنها -في زمن تأليف هذا الكتاب- كانت تكتب على سيقان نبات البامبو، الذي لم يصمد ضد عوامل الزمن عند اكتشاف هذه الكتابات حديثاً، وأثناء قراءة الترجمة سيجد القارئ بعض الجمل غير المترابطة والتي لا يمكن فهمها بسهولة، وسيجد بعض الفصول شديدة الطول، وتلك القصيرة بشكل غير عادي. سبب ذلك ومرده ضياع بعض الجمل والكلمات وطمس بعضها الآخر على شرائح البامبو التي كتبت عليها، وهي المادة التي كانت تستعمل في الكتابة عليها، والتي تم العثور عليها في الحفريات الأثرية.

كذلك ولعدم توفر دلائل زمنية واضحة كثرت تكهنات المهتمين والدارسين، فمنهم من زعم أن سون تزو ليس له وجود وأنه شخصية مخترعة، ومنهم من قال أن محبيه ومريديه أضافوا لكتاباته الكثير، ومنهم من قال أن الكتاب تعرض لضياع كثير من أجزائه وأن هناك ستة فصول إضافية لم تترجم مع الترجمات الأولى، وغير ذلك الكثير، على أن ما يهمنا هنا هو الحكمة التي يوجزها لنا هذا الكتاب، وهذا هو غايتنا وضالتنا من هذا العمل، ولذا يمكننا أن نطمئن لترك كل هذه التكهنات وراء ظهورنا والتركيز على تعلم الحكمة.

تعتمد هذه الترجمة العربية على النص الإنجليزي الذي ترجمه الدكتور **ليونيل جيلز** الإنجليزي، والذي ترجمه بدوره من الصينية أثناء عمله في الصين لصالح المتحف البريطاني، ونشرها في عام ١٩١٠ م، ورغم قدم هذه الترجمة لكن جميع الترجمات الحديثة اعتمدت هذه الترجمة كأساس تنطلق منه، لعل ذلك سببه خبرة ليونيل باللغة الصينية، وإلمامه ببعض فروع المعرفة العسكرية.

ترجمة سون تزو

إن كتاب العبقري العسكري الصيني سون- تزو والمُسمى بنج- فا (أو فن الحرب) لهو واحد من أهم المخطوطات القديمة في تاريخ العالم كله، وتعود الأهمية الفائقة لهذا الكتاب إلى بقاء ما جاء فيه من مبادئ صالحاً للتطبيق حتى يومنا هذا، رغم مرور ما يزيد عن أكثر من ألفي عام على كتابته، ما جعله الكتاب الاستراتيجي الأهم بلا منافس.

كاتبه **سون تزو** (أو السيد سون) هو القائد الأعلى لجيش مملكة وو، وهو وضع كتابه هذا بناء على طلب من الملك، وخصصه لصفوة القادة العسكريين في زمنه، على أن نصائحه ومبادئه استوعبها الجميع وحتى يومنا هذا، بداية من محاربي الساموراي اليابانين الأشداء، ومروراً برائد نهضة الصين ماو زدونج، وانتهاء برجال الأعمال المتمرسين في وقتنا الحاضر.



الكتابة الصينية القديمة على شرائح سيقان نبات البامبو

لتواضع إمكانيات تقنية الكتابة وقتها، التي كانت تعتمد على استخدام شرائح طولية من **عصيان نبات البامبو**، جاءت كتابات سون تزو في جمل قصيرة ومختصرة، أتعبت المترجمين من دقة اختيار كلماتها، وأثارت دهشة القارئين لصلاحيتها للتطبيق في كل مكان وزمان. **كتاب فن الحرب لا يركز على تحقيق النصر وحسب، بل أيضاً على تجنب الهزيمة وتقليل وتفادي الخسائر بأكبر قدر ممكن، ويشرح كيف يمكن تحقيق النصر مع تجنب القتال إذا كان ذلك ممكناً**، ولعل ذيوع شهرة هذا الكتاب تعود كذلك لإمكانية تطبيق ما جاء فيه في عالم الاقتصاد والتجارة والسياسة والرياضة، وفي كل مجال تقريباً.

وُلد سون تزو في عام ٥٥١ قبل الميلاد، وعاش حتى عام ٤٩٦ قبل الميلاد، وذاع صيته بسبب عبقريته العسكرية التي اشتهر بها، وهو كتب مجموعة من المقالات العسكرية الاستراتيجية، حملت اسم كتاب فن الحرب. عاصر سون تزو نهايات عصر "الربيع والخريف" الذي شهد تحول المجتمع الصيني من مجتمع العبيد إلى المجتمع الإقطاعي، حيث كثرت الحروب بين أكثر من ١٣٠ مملكة صغيرة، ما أدى في النهاية لظهور خمس ممالك قوية تنازعت فيما بينها على السلطة والحكم. هذه الحروب الطويلة لم تكن بمعزل عن سون تزو، إذ زادت من خبرته العسكرية وعمدت إلى صقل مواهبه وزادت من حكمته.

رحل سون تزو إلى مملكة وو في شرق الصين (إلى الغرب من مدينة شنجهاي اليوم)، حيث عمد إلى وضع المسودة الأولى لمؤلفه: فن الحرب، وبلغت شهرة كتاباته الملك، فقدم له سون تزو ١٣ مقالة حول فن الحرب، فما كان من الملك بعد أن قرأها إلا أن أولاها قدراً

وتقديرا عاليين، جعله يعين سون تزو قائداً عاماً لجيش مملكة تشي. عمد سون تزو بعدها إلى تدريب الجنود وصقل مهاراتهم وتوسيع أطراف المملكة، وساعد على تحقيق الانتصار تلو الآخر وتوسعة تخوم المملكة.

مع توالي الانتصارات، زاد غرور الملك، وأصبح متكبرا لا يستمع إلى آراء واقتراحات الآخرين، ما دفع سون تزو إلى ترك الملك والعيش في قرية بعيدة في الغابات، وحسب خبراته التي اكتسبها في تدريب القوات والحروب والقتال، عدل مؤلفه وجعله كاملاً منقحاً.

الفصل الأول

وضع الخطط Laying Plans

١
قال سون تزو:
إن فن الحرب ذو أهمية حيوية للدولة.

٢
فهو مسألة حياة أو موت، وبمثابة الطريق إلى بر الأمان أو إلى الخراب، ولذا فهو موضوع يستحق البحث والتحري – لا يمكن بأي حال تجاهله.

٣
يحكم فن الحرب خمسة عوامل ثابتة، يجب على من يتحرى أحوال ميدان المعركة أن يضعها في الحسبان وأخذها في الاعتبار.

٤
هذه العناصر الخمس هي:
القانون الأخلاقي (تاو Tao)
السماء (المناخ)
الأرض (التضاريس)
القائد
النظام العام

٥ - ٦
القانون الأخلاقي هو الانسجام ما بين الحاكم والمحكومين، ما يدفع الأفراد لإتباع أوامر القائد العام دون تردد، ودون خوف من العواقب. (التدريب المستمر يجعل الضباط مستعدين للحرب، غير مترددين أو قلقين، كما أن القائد سيكون مستعداً كذلك بدوره).

٧
السماء يُقصد بها الليل والنهار، البرودة والحرارة، الأوقات والفصول الأربعة، الرياح والسُحب.

٨
الأرض ترمز للمسافات القصيرة والطويلة، المخاطر ومدى الأمان، الأراضي المفتوحة والممرات الضيقة، احتمالات النجاة والموت.

٩
القائد يرمز إلى فضائل الحكمة والإخلاص (التفاني في العمل) وحسن الخُلق والشجاعة والحزم.

١٠
النظام العام يُقصد به طريقة تنظيم الجيش وتقسيمه بطريقة صحيحة إلى وحدات، وطريقة توزيع الرتب العسكرية بين الضباط، وصيانة طرق الإمدادات التي تصل إلى الجيش، والتحكم في معدل الإنفاق العسكري.

١١
هذه العوامل الخمس يجب أن تكون معروفة جيداً لأي قائد، فمن يلم بها تماماً سيكون المنتصر، وغير ذلك سيفشل في تحقيق النصر.

١٢
لذا، -في كل مشاوراتك وفي طريقة تفكيرك- للوقوف على أحوال أرض المعركة، اجعل هذه العناصر أساساً للمقارنة، على النحو التالي:

١٣
أي مِن حكام الطرفين أكثر تمسكاً بعناصر القانون الأخلاقي؟
أي مِن قادة الطرفين أكثر قدرة وتدبيراً؟
لصالح أي الطرفين تميل عناصر السماء والأرض ؟
أي الطرفين يتبع النظام العام بحذافيره؟
أي الجيشين أقوى (معنوياً وبدنياً وعتاداً)؟
ضباط أي الجيشين أكثر تدريباً واستعداداً؟
أي الجيشين أكثر التزاماً بمبدأ الثواب والعقاب؟

١٤
من خلال نتائج هذه الأسئلة السبعة أستطيع معرفة من سيصيب النصر ومن سينهزم.

١٥
القائد الذي يصغي لمشورتي ويعمل بها - سيقهر وينتصر، ومن هم مثله يجب أن يستمروا في مواقع القيادة. القائد الذي لا يصغي لمشورتي فلا يعمل بها - سيعاني الهزيمة، ومن هم مثله يجب أن يُصرفوا من الخدمة.

١٦
بينما تمضي لتستفيد من مكاسب إتباعك لمشورتي، احرص على الاستعانة بأي ظروف مواتية وعناصر مساعدة، تقع خارج نطاق المألوف والمعتاد.

١٧
بناء على مدى توافق الظروف، على المرء أن يعدل خططه.

١٨
جميع الأمور المتعلقة بالحرب تعتمد على الخداع (الحرب خدعة).

١٩
لذا فعندما نستطيع الهجوم - يجب أن نبدو كما لو كنا عاجزين عنه، وعندما نناور ونتحرك بالقوات - يجب أن نبدو خاملين، وعندما نقترب - يجب أن نجعل العدو يظن أننا بعيدين، وعندما نكون بعيدين – يجب أن نجعل العدو يظن أننا قريبين.

٢٠
ابق لديك طُعماً تغري به العدو. تظاهر بانتشار الفوضى بين صفوفك - ثم اسحق العدو.

٢١
إذا كان العدو متحصناً من جميع الجهات – استعد لملاقاته. إذا كان العدو في حالة أفضل منك – تجنبه.

٢٢
إذا كان غريمك سريع الغضب – احرص على مضايقته وإثارة غيظه. تظاهر بالضعف حتى يتمادى في غروره.

٢٣
إذا كان العدو يستريح، فلا تعطه الفرصة لذلك. إذا كنت أنت تستريح – احرص على أن تنهك قوى عدوك أثناء راحتك.

٢٤
اهجم بينما هو غير مستعد، اظهر في المكان الذي لا يتوقعك فيه.

٢٥
هذه الوسائل العسكرية تؤدي إلى النصر، فلا تفشيها قبل أوانها.

٢٦
القائد الذي يفوز في المعركة يقوم بعمل الكثير من الحسابات في مركز القيادة قبل بدء القتال. القائد الذي يخسر المعركة يقوم بعمل القليل من الحسابات سلفاً. لذا فالكثير من الحسابات تؤدي إلى النصر، والقليل منها يؤدي إلى الهزيمة. بناء على درجة اهتمامك لهذه النقطة أستطيع أن أتنبأ من سيفوز ومن سينهزم.

الفصل الثاني

شن الحرب Waging War

[يؤكد المعلقون على الكتاب أنه يجب على من يريد خوض حرب أن يحسب تكلفتها أولاً، وهو ما يعطينا نبذة عن محتوى هذا الفصل الثاني].

١

قال سون تزو:

في مجريات الحرب، حيث هناك في الميدان ألف مركبة حربية خفيفة وسريعة (للهجوم)، ومثلها من المركبات الثقيلة (للدفاع)، ومئة ألف جندي مشاة مدرع، يحملون إمدادات تكفيهم للسير ألف لِي (لي هي وحدة قياس مسافة صينية تعادل الميل تقريباً)، وقتها ستبلغ النفقات العامة - في الداخل وعلى الجبهة – المتضمنة ترفيه ضيوف الدولة والنثريات مثل نفقات الغراء والدهان، ونفقات صيانة العربات الحربية والدروع، تبلغ هذه النفقات ما يعادل ألف أونصة فضة في اليوم، وهذه هي تكلفة تجيش جيشاً قوامه ١٠٠ ألف رجل.

٢

عندما تلتحم في قتال فعلي، فتتأخر بشائر النصر، فستبدأ أسلحة الجنود تفقد دقتها، وستنطفئ حماسة أولئك الجنود. إذا حاصرت مدينة، فسترهق قواك.

٣

مرة أخرى، إذا طال أمد حملتك العسكرية، فموارد الدولة لن تواكب نزيف النفقات العسكرية.

٤

الآن، وبعدما فقدت أسلحتك دقتها، وانهارت الروح المعنوية العامة، وخارت قواك واستنفدت مواردك، فسيبدأ بقية الحكام المجاورين لك في التطلع لانتهاز فرصة تهورك وانهيارك. وقتها لن يستطيع أحد – مهما كان حكيماً – أن يحول دون حدوث العواقب الوخيمة التي ستحدث نتيجة لذلك.

٥

هكذا، ورغم أننا سمعنا الكثير عن التسرع الأحمق لخوض الحرب، فالمهارة لم تقترن أبداً بأي فترات تأخر طويلة. (القائد الغبي بطبيعته لن ينتصر أبداً باستخدام القوة الغاشمة في سرعة كبيرة. نعم، التحرك بسرعة كبيرة قد يكون من الغباء، لكنه رغم ذلك يقلل النفقات اليومية وتدهور المعنويات واستهلاك الطاقات. قد يكون التأني من الحكمة، لكنه يجاب معه الهدوء والسكون. إذا كان النصر يمكن إحرازه، فالتسرع الأحمق أفضل من التأني الماهر.

إذا كانت السرعة تعتبر أحياناً عملاً طائشاً (لا حكمة منه) فالتباطؤ يعتبر عملاً أحمقاً (سخيفاً) بسبب ما يسببه الأخير من استنزاف لموارد الأمة).

٦
لا توجد سابقة تاريخية تذكر أن بلداً ما قد استفاد من دخوله حروباً طويلة.

٧
إن المخضرم - العالِم بويلات إطالة الحروب - هو فقط القادر على فهم أهمية وجوب إنهاء الحروب بسرعة.

٨
الجندي الماهر لن ينتظر ليحصل على راتبه مرة أخرى، ولن يتم تزويده بالإمدادات أكثر من مرتين (أي عليه أن يسرع فيدخل في قلب المعركة دون تباطؤ أو انتظار – فيسبق بذلك خصمه).

٩
اجلب العتاد الحربي معك من خطوطك الخلفية، وأما المشرب والمطعم (المئونة) فمن أرض العدو. هكذا سيكون لدى الجيش ما يكفيه من طعام وشراب.

١٠
نضوب معين الخزانة العامة للدولة ينتج عنه الحاجة لإمداد الجيش عن طريق التبرعات من أماكن بعيدة، وذلك يتسبب في إفقار موارد الشعب.

١١
من ناحية أخرى، اقتراب الجيش (تلاحمه مع العدو) يتسبب في ارتفاع الأسعار الداخلية، ما يؤدي لاستنزاف ثروات الشعب.

١٢
عند نفاد ثروات الشعب، سيعانون بشدة من الضرائب المفروضة عليهم.

١٣ – ١٤
مع ضياع الثروات وخوار القوى، تصبح بيوت الشعب شبه خاوية، وسيتبخر ثلاثة أعشار دخلهم، بينما النفقات الحكومية لإصلاح العربات الحربية والدروع والخوذات والأقواس والأسهم والرماح والتروس واستبدال الجياد المنهكة والثيران المحملة، ستبتلع كل هذه النفقات أربعة أعشار الدخل العام.

١٥
هكذا فالقائد الحكيم سيعتمد على العدو كمصدر للطعام والمئونة. عربة واحدة محملة بمئونة العدو تعادل عشرين عربة من خطوط الإمداد (لأن وصول عربة واحدة للجبهة يستهلك محتويات ٢٠ عربة) وبالمثل فإن ما وزنه بيكل (وحدة وزن تعادل ٦٥,٥ كيلوجراماً) من طعام العدو يعادل عشرين من مخازن الدولة.

١٦
الآن ولقتال العدو فلا بد من إثارة غضب الجنود، ولا بد من توضيح مزايا الانتصار على العدو، فلا بد وأن يحصلوا على مكافآتهم (نصيبهم من غنائم الحرب).

١٧
لذا عند الاستيلاء على عشرة عربات حربية أو أكثر، يجب مكافأة أول من استولى على العربة الأولى. يجب استبدال أعلام العدو المشرعة على تلك العربات بأعلامنا، ويجب خلط تلك العربات المستولى عليها بعرباتنا واستعمالها في القتال. يجب معاملة الأسرى من الجنود بطيبة والإبقاء عليهم.

١٨
هذا ما يُطلق عليه استخدام غنائم العدو المقهور لزيادة قوتنا الذاتية.

١٩
إذا ليكن همك الأول والأكبر في الحرب هو تحقيق النصر، لا إطالة أمد الحملات العسكرية.

٢٠
هكذا يمكن القول أن قائد الجيوش هو المتحكم في أقدار الشعب، فهو الرجل الذي يعتمد عليه ما إذا كانت الأمة ستعيش في سلام أم في خطر.

الفصل الثالث

الهجوم بالخداع Attack By Stratagem

١
قال سون تزو:
التطبيق الأفضل لإجادة فن الحرب هو أن تغنم مدينة العدو كاملة وسالمة، وأما تقسيمها وتدميرها فليس بأفضل شيء. أيضاً، من الأفضل أن تأسر جيش العدو كاملاً عوضاً عن أبادته، وأن تأسر فرقة، فصيلاً، أو سرية سالمين أفضل من القضاء عليهم.

٢
هكذا فإن القتال والانتصار في جميع المعارك ليس هو قمة المهارة، **التفوق الأعظم هو كسر مقاومة العدو دون أي قتال.**

٣
أعلى درجات البراعة العسكرية هي إعاقة خطط العدو بالهجوم المضاد، يليها منع قوات العدو من الالتحام ببعضها البعض (عزلها وقطع خطوط الاتصال والإمدادات) يليها الهجوم على جيش العدو في الميدان، وأما أسوأ السياسات فهو حصار المدن ذات الأسوار العالية (المنيعة).

٤
القاعدة هي ألا تحاصر المدن ذات الأسوار إذا كان يمكن تجنب ذلك. إن تجهيز الأبراج قابلة التحريك، والحصون النقالة، والعديد من التطبيقات الحربية اللازمة، سيستغرق ثلاثة أشهر كاملة، وإهالة التراب أمام تلك الأسوار سيستغرق ثلاثة أشهر إضافية.

٥
القائد - غير القادر على التحكم في ضجره من مرور الوقت دون أي مردود - سيأمر رجاله بالهجوم مثل قطعان النمل كثيرة العدد، قبل حلول الوقت المناسب لذلك، والنتيجة تعرض ثلث جيشه للذبح، بينما تقف المدينة عصية. هذه بعض الآثار الكارثية للحصار.

٦
القائد البارع يقهر قوات العدو دون أي قتال، وهو سيفتح مدن العدو دون حصارها، وسيُسقط نظامها الحاكم دون عمليات عسكرية طويلة في الميدان. (يُسقط الحكومة دون المساس بالمواطنين). [هذه الحكمة لو اتبعها الساسة الأمريكان في غزو العراق لوفروا الكثير من المآسي المحزنة، علينا وعلى أنفسهم].

٧
إبقاء القائد البارع قواته سالمة سيشكك بقوة في نفوذ العدو وحكمه، وهكذا – دون فقدان جندي واحد- يكون الانتصار قد بلغ حد الكمال. هذه هي طريقة الهجوم بالخداع.

٨
القاعدة في الحرب أنه إذا كانت نسبة قواتنا إلى العدو ١٠ إلى واحد، فحاصر العدو، وإذا كانت خمسة إلى واحد فهاجمه فوراً، وإذا كانت الضعف فيجب تقسيم جيشنا إلى نصفين (النصف الأول قد يستخدم في القتال، بينما الثاني في الخداع، أو نصف يهاجم من المقدمة بينما الثاني يهاجم المؤخرة).

٩
إذا كانت النسبة متكافئة (١:١) فيمكن أن نقاتل (حينها سيفوز القائد الأقدر) وإذا كان الفرق ضئيلاً في غير صالحنا، فيمكننا تجنب العدو، وإذا كان الفرق كبيراً في أكثر من وجه مقارنة، فيجب أن نفر من العدو.

١٠
هكذا، رغم أن الفرقة قليلة العدد يمكنها أن تقاتل بضراوة، لكنها في النهاية سيتم أسرها من قبل القوات المعادية الأكثر عدداً.

١١
الآن وبينما القائد هو حصن الدولة، فإذا كان هذا الحصن كاملاً من جميع الجهات، فالدولة ستكون قوية، أما إذا كان هذا الحصن به عيوب، فالدولة ستكون ضعيفة.

١٢
هناك **طرق ثلاث بها يجاب الحاكم المحن على جيشه**:

١٣
إصدار الأوامر للجيش بالتحرك أو التقهقر، جاهلاً بحقيقة أن الجيش غير قادر على إطاعة الأمر. هذا ما يسمى إعاقة الجيش. (استخدام كلمة حاكم يقصد بها صاحب الأمر في الخطوط الخلفية، فإدارة الجيوش يجب أن تتم من على بعد، وليس من على خط المواجهة).

١٤
قيادة الجيش بذات الطريقة التي يحكم بها الدولة، جاهلاً بالظروف التي يواجهها الجيش. ذلك يسبب الضيق والقلق في نفوس الجنود.

١٥
تعيين الضباط في جيشه دون تفرقة (لا يضع الرجل المناسب في المكان المناسب) بسبب جهله بالأعراف العسكرية المتعلقة بالتكيف حسب الظروف المحيطة. ذلك يهز ثقة الجنود في الحاكم.

١٦

لأنه عندما يصبح أفراد الجيش قلقين وغير واثقين في الحاكم، فالمشاكل حتماً ستأتي من بقية زعماء العشائر. ذلك ببساطة هو إلحاق الفوضى بالجيش، ورمي النصر بعيداً.

١٧

هكذا نعرف أن هناك خمس أساسيات للنصر:

من ينتصر يعرف جيداً متى يقاتل ومتى لا يقاتل.

من ينتصر يعرف كيف يتعامل مع مختلف أشكال القوة: كثيرها وقليلها.

من ينتصر هو من تُحرك جيشه روح معنوية واحدة على جميع مستويات القادة والجند.

من ينتصر هو من جهز نفسه جيداً، ثم انتظر ليأخذ عدوه على غفلة منه.

من ينتصر هو قائد لديه صلاحيات كاملة ولا يتداخل الحاكم معه في حيثيات عمله. (الحاكم يصدر أوامر عامة، بينما القائد هو من ينفذ تلك الأوامر بالطرق التي تتراءى له).

١٨

إذاً إذا كنت تعرف العدو وتعرف نفسك - فلا حاجة بك للخوف من نتائج مئة معركة.

إذا عرفت نفسك لا العدو، فكل نصر تحرزه سيقابله هزيمة تلقاها.

إذا كنت لا تعرف نفسك أو العدو – ستنهزم في كل معركة.

(علمُك بعدوك يُعرفك كيف تدافع، علمُك بنفسك يعرفك كيف تهاجم – الهجوم هو سر الدفاع، والدفاع هو التخطيط للهجوم).

الفصل الرابع

المناورات التكتيكية Tactical Dispositions

[يرمز اسم هذا الفصل إلى تحركات الجيوش المتحاربة ذهاباً وإياباً جنباً إلى جنب من أجل اكتساب معلومات عن الطرف الآخر].

١
قال سون تزو:
نأى المقاتلون القدامى الماهرون بأنفسهم بعيداً عن قابلية تعرضهم للهزيمة، وهم انتظروا فلم يبادروا بالهجوم حتى تلوح الفرصة لهزيمة العدو.

٢
مسؤولية حماية أنفسنا من تلقي الهزيمة تقع على عاتقنا نحن، لكن فرصة هزيمة العدو يوفرها لنا العدو نفسه (عبر خطأ يقع فيه).

٣
المقاتل الجيد يُحصن نفسه ضد الهزيمة (عبر إخفاء تحركاته وأثره، واتخاذ إجراءات أمنية احترازية دائمة ومشددة) لكنه لا يستطيع تأكيد إمكانية هزيمة العدو (فالعدو هو من يهزم نفسه).

٤
قد تعرف السبيل إلى قهر عدوك، دون أن تكون قادراً بالضرورة على تحقيق ذلك.

٥
التحصن ضد الهزيمة يستلزم إتباع التكتيكات الدفاعية، وأما القدرة على هزيمة العدو فتعني انتهاز الفرصة. (من لا يستطيع قهر عدوه عليه اتخاذ الوضع الدفاعي).

٦
اتخاذك الوضع الدفاعي يشير إلى قوة غير كافية، بينما الهجوم يستلزم توفر القوة الزائدة.

٧
القائد العسكري الماهر في الدفاع يختبئ في سابع أرض (النص الصيني يذكر تاسع أرض – وهي كناية عن أكثر الأماكن سرية وكتماناً)، القائد العسكري الماهر في الهجوم ينقض كالبرق من أعالي السماء (السماء التاسعة - كناية عن السرعة الكبيرة، والقدوم من أماكن

غير متوقعة، بما لا يدع أي فرصة للعدو للاستعداد). من الناحية الأولى، فنحن بأيدينا حماية أنفسنا، ومن الناحية الأخرى، فبإمكاننا إحراز النصر الكامل.

٨
رؤية النصر حين يستطيع الرجل العادي رؤيته قادماً ليست هي قمة التميز. (بل أن ترى النبتة قبل أن تنبت، وأن تتوقع ما سيحدث قبل حدوثه).

٩
كما أن قمة التميز ليست هي أن تحارب وتقهر ثم تقول لك الدولة كلها "حسناً فعلت – سلمت يداك". (قمة التميز هي التخطيط بسرية كاملة، وأن تتحرك بحذر شديد، وأن تحبط نوايا العدو وتفسد مخططاته، وأن تنتصر عليه دون إراقة قطرة دم واحدة).

١٠
أن ترفع شعرة رفيعة من فراء أرنب بري في موسم الخريف لا يعني القوة العظيمة (مثل شائع في اللغة الصينية ويعني أدق شيء)، **رؤية الشمس والقمر ليست علامة البصر الحاد، سماع الرعد ليس علامة السمع الحاد.**

١١
ما أطلق عليه القدامى المقاتل الماهر هو من لا ينتصر وحسب، بل يبرع في الانتصار بكل سهولة ويُسر. (من يُقصِر نظره على ما هو واضح جلي – ينتصر بصعوبة، من يتخطى ببصره حدود المعتاد – ينتصر بكل سهولة).

١٢
وبالتالي تجلب انتصاراته له السمعة الطيبة نتيجة حكمته الواسعة، وتجلب له التقدير على شجاعته.

١٣
إنه ينتصر في معاركه بعدم ارتكابه لأي خطأ. عدم الوقوع في أي خطأ هو ما يؤسس لتأكيد النصر، وهو ما يعني هزيمة عدو قد انهزم بالفعل.

١٤
المقاتل الماهر يقف في مكان يستحيل هزيمته فيه، وهو لا يضيع الفرصة السانحة لهزيمة العدو.

١٥
في الحرب، القائد الاستراتيجي المنتصر هو من يذهب للقتال بعدما ضمن النصر، حيث هو المُقدر له أن ينتصر في أولى معاركه وبعدها ينتظر النصر المظفر. (في الحرب، ابدأ بوضع الخطط التي تضمن النصر، ثم قد جيشك إلى المعركة؛ إذا لم تبدأ بالخداع واعتمدت عوضاً عنه على القوة الغاشمة فقط، فالنصر بذلك يصبح غير مؤكد).

١٦

القائد شديد البراعة يراعي القانون الأخلاقي، ويلتزم بشدة بالنظام العام، وهكذا يصبح بإمكانه التحكم في النصر.

١٧-١٨

من وجهة النظر العسكرية، عناصر فن الحرب هي:
قياس المسافات ومسح الأرض (لتقدير قوة العدو)
تقدير الكميات (حساب حالة العدو)
حسابات الأرقام (وضع قيمة رقمية لقوة العدو)
المقارنة (المعرفة العلمية لبيان قوتنا مقارنة بقوة العدو)
احتمالات النصر (نتيجة المقارنة)

١٩

الجيش المنتصر مقارنة بالمنهزم هو كثقل وضع على كفة ميزان مقابل حبة صغيرة.

٢٠

اندفاع القوات المنتصرة يعادل تدفق المياه المتفجرة من فجوة عالية إلى الأعماق السحيقة.

الفصل الخامس

الطاقة Energy

١
قال سون تزو:
طريقة تنظيم وإدارة قوة كبيرة هي ذاتها طريقة تنظيم وإدارة فرقة صغيرة مكونة من بضعة رجال: إنها مسألة تقسيم العدد الكبير إلى مجموعات صغيرة. (تقسيم قوات الجيش إلى فرق وسرايا وفصائل ومجموعات ووحدات، مع تعيين قائد لكل وحدة).

٢
القتال وتحت إمرتك جيش كبير لا يختلف عن القتال مع وحدة صغيرة، فهي مسألة وضع أسس استعمال العلامات والإشارات والرموز في التواصل.

٣
للتأكد من أن جيشك يستطيع تحمل وطأة هجوم العدو ويبقى متماسكاً غير مهزوز – يتحقق ذلك من خلال القيام بمزيج من المناورات المباشرة ("شينج" – الإيجابية) والمناورات غير المباشرة ("تشي" – السلبية)، من أجل إرباك العدو. (هدف المناورات العسكرية وقت الحرب هو تضليل العدو فلا يعرف نوايانا الحقيقية).

٤
تأثير جيشك يجب أن يكون مثل تأثير الحجر الصلب المندفع بقوة جبارة ضد بيضة – يتحقق ذلك عبر تعلم ومعرفة نقاط الضعف والقوة (في كلا الطرفين: أنت والعدو).

٥
في جميع أوجه القتال، يمكن انتهاج الطريقة المباشرة من أجل الانضمام إلى المعارك، أما الطرق غير المباشرة فيتم اللجوء إليها من أجل تأمين النصر.

٦
معين التكتيكات غير المباشرة –في حالة تم تطبيقها بكفاءة- لا ينضب أبداً، تماماً مثل السماء والأرض، لا نهاية لها، مثل جريان الأنهار وفيضان العيون، مثل الشمس والقمر اللذان يغيبان فقط ليشرقان من جديد، مثل الفصول الأربعة، التي تمر فقط لتعود من جديد.

٧

ليس هناك أكثر من خمس علامات موسيقية، ورغم ذلك فإن مزج هذه الخمسة ساعد على تأليف ما لا يمكن عده من القطع الموسيقية والألحان، وبأكثر مما يمكن سماعه على الإطلاق.

٨
ليس هناك أكثر من خمسة ألوان أساسية (أزرق، أصفر، أحمر، أبيض، أسود) ورغم ذلك فإن مزج هذه الألوان معاً يخرج لنا تدرجات لونية بأكثر مما يمكن رؤيته.

٩
ليس هناك أكثر من خمسة نكهات أساسية: حامض، حريف، مالح، حلو، مُر، ورغم ذلك فإن مزجها معاً يخرج لنا نكهات بأكثر مما يمكننا تذوقه.

١٠
في المعركة، هناك أكثر من طريقتين للهجوم: مباشرة وغير مباشرة، ورغم ذلك فإن مزج هاتين الطريقتين ينتج عنه سلسلة لا نهائية من المناورات الممكنة.

١١
تؤدي كلا من الطريقة المباشرة وغير المباشرة بدورها إلى الأخرى، تماماً مثل التحرك في دائرة، حيث لا تصل أبداً إلى نهاية. وبالتالي، فمن ذا الذي يمكنه الوصول لحد نهاية الاحتمالات الممكنة نتيجة لمزج هاتين الطريقتين معاً؟

١٢
يشبه هجوم الجنود السيل الجارف الذي يحمل معه في مجراه حتى الصخور الرواسي.

١٣
تشبه دقه توقيت اتخاذ القرار الصائب من القائد تلك الدقة التي ينتهجها الصقر عندما يهجم كالبرق على فريسته، في دقة فائقة، تمكنه من الإمساك بها وتدميرها. (هذه الدقة ناتجة من حسن قياس وتقدير المسافات وخط سير الفريسة وتوقع رد فعلها للهجوم عليها).

١٤
لذا فالمقاتل الباسل سيكون رهيباً في هجومه، متأنياً عند اتخاذه لقراراته.

١٥
يمكن تشبيه الطاقة (القوة) بشد القوس من أجل إطلاق السهم، وتشبيه القرار بلحظة ترك القوس لينطلق في اتجاهه الذي حددته له.

١٦
وسط اضطراب وجلبة المعركة، قد يكون هناك فوضى ظاهرية، لكنها ليست فوضى على الإطلاق. وسط حالات الارتباك والعشوائية، قد تكون قواتك بلا مقدمة أو مؤخرة، لكنها رغم ذلك محصنة ضد الهزيمة. (بفضل حسن التنظيم والتدريب والتفكير).

١٧
التظاهر بحدوث حالة من الفوضى (لإغراء العدو بالهجوم) يتطلب مقدماً كشرط أساس حالة انضباط تام (للخروج بسرعة من حالة الفوضى الزائفة إلى حالة الانضباط من أجل الانقضاض السريع على العدو المهاجم)، والتظاهر بالجبن يستلزم الشجاعة، والتظاهر بالضعف (لإعطاء العدو الشعور بالغلبة) يستلزم القوة والمقدرة.

١٨
إخفاء الانضباط تحت عباءة الفوضى هو ببساطة مسألة حسن تقسيم لوحدات الجيش، وإخفاء الشجاعة تحت ستار من الجُبن يتطلب قدراً كبيراً من الطاقة الكامنة، وإخفاء القوة خلف الضعف الظاهري يتحقق عبر المناورات التكتيكية.

١٩
وبالتالي فمن يظن أنه ماهر في التلاعب بالعدو (بإعطائه إشارات خادعة) يجب عليه الحفاظ على مظهره المخادع، والذي بناء عليه سيتصرف العدو. (إذا كنت قوياً فأظهر الضعف للعدو كي يهجم عليك، وإذا كنت ضعيفاً فاحرص على إظهار نقاط القوة لديك، فيحترس منك العدو ويبتعد – يجب أن تكون تحركات العدو بناء على إشارات نرسلها نحن إليه، وبذلك نبقيه في الموقع الذي نريده له).

٢٠
عبر امتلاك شرك/طُعم يُغري العدو، ستبقيه دائماً زاحفاً، ثم تنتظره بأفضل رجالك المنتقين بعناية. (ربما قصد بذلك القوات الرئيسية).

٢١
المقاتل البارع يبحث في آثار اتحاد القوات، ولا يتوقع الكثير من الأفراد. (يُقدر مدى قوة جيشه ككل، ثم يأخذ المهارات والمواهب الفردية في الحسبان، ثم يستعمل كل فرد في الجيش حسب قدراته، ولا يطلب بلوغ الكمال من غير الموهوبين) وبذلك يصبح قادراً على اختيار الرجال المناسبين والاستفادة من اتحاد القوات.

٢٢
عندما يستفيد من اتحاد القوات، يصبح مقاتلوه مثل الصخور المنقضة، لأن طبيعة الصخور البقاء في أماكنها ما دامت فوق سطح مستو، وطبيعتها أن تخر من علٍ إذا وضعتها فوق منحدر. إذا كانت الصخرة على شكل مربع، فستتوقف سريعاً، وأما إذا كانت ذات شكل دائري، فستنقض بسرعة متزايدة في نزولها.

٢٣
وبالتالي، فإن الطاقة التي تنجلي من خلال الرجال المقاتلين الباسلين، هي مثل القوة الدافعة التي يكتسبها الحجر الدائري الصغير المتدحرج من قمة جبل يرتفع آلاف الأمتار. هذا هو موضوع الطاقة. (أي أنه يمكن تحقيق نتائج عظيمة عن طريق قوات قليلة العدد).

الفصل السادس

Weak Points And Strong نقاط الضعف والقوة

١
قال سون تزو:
الطرف الذي يصل إلى ميدان القتال أولاً، وينتظر قدوم عدوه إليه، سيكون أكثر استعداداً للقتال، بينما من يصل ثانياً سيجب عليه التعجل للقتال وسيصل مُنهكاً مُرهقاً.

٢
بذلك يفرض المقاتل الماهر رغباته على العدو، لكنه لا يدع العدو يفرض رغباته هو عليه (الجندي الماهر يحارب وفقاً لشروطه، أو لا يحارب على الإطلاق).

٣
فعن طريق تحقيقه [القائد الماهر] للأسبقية، يمكنه إجبار العدو على الاقتراب منه كما يريد له، أو – عن طريق إلحاق الخسائر به – يمكنه جعل الأمر مستحيلاً على العدو أن يقترب منه (في الشق الأول سيقدم للعدو طُعماً، وفي الثاني سيضرب العدو في أماكن مؤلمة تجبر العدو على التخندق للدفاع).

٤
إذا كان عدوه يستريح، فسيقوم [القائد الماهر] بمضايقته، وإذا كان عند العدو خطوط إمداد جيدة توفر له مؤونة الطعام، فسيقوم بتجويع العدو، وإذا كان العدو يعسكر بشكل هادئ، فسيقوم بإجباره على التحرك.

٥
احرص على الظهور في نقاط يجب على العدو الإسراع لكي يدافع عنها، وسر بأقصى سرعة إلى الأماكن التي لم يكن يُفترض بك التواجد فيها.

٦
يمكن لأي جيش قطع المسافات الطويلة دون أي قلق نفسي أو كرب، هذا إذا سار خلال طرق لا يتواجد فيها العدو.

٧
يمكنك الوثوق في نجاح هجومك فقط إذا هاجمت الأماكن غير المحروسة (النقاط الضعيفة)، يمكنك كذلك ضمان دفاعاتك إذا تمسكت بالنقاط التي لا يمكن الهجوم عليها.

(هذه جملة مبهمة، شرحها المعلقون بطريقة أخرى: لكي تجعل دفاعاتك قوية – يجب عليك الدفاع عن وتحصين كل الأماكن - حتى تلك التي لا تتوقع الهجوم عليها، مع زيادة تحصينك لتلك النقاط التي تتوقع الهجوم عليها).

٨
القائد الماهر في الهجوم لا يعرف خصمه ما الذي يجب عليه الدفاع عنه، وأما القائد الماهر في الدفاع فلا يعرف خصمه أين وكيف يهاجمه.

٩
مثل خُطى القدر، تلك التي تأتي في رقة رقيقة وسرية تامة، تعلم أن تختفي عن العيون مثلها، وألا يصدر عنك أي صوت أو ضوضاء (الهدوء التام)، وبذلك تتحكم في مصير العدو بيديك.

١٠
يمكنك التقدم بطريقة تجعل مقاومتك مستحيلة -- إذا قصدت نقاط ضعف العدو. يمكنك التراجع والنجاة من مخاطر مطاردة العدو لك -- إذا كانت تحركاتك سريعة، أسرع من تلك للعدو.

١١
إذا كنت تريد القتال، يمكنك دفع العدو للالتحام حتى ولو كان يحتمي خلف متاريس عالية وخنادق عميقة. كل ما علينا فعله هو الهجوم على الأماكن والمناطق التي تجبره على الخروج من مكمنه ليدافع عنها (إذا كان العدو هو الغازي، فيمكنك قطع خطوط اتصالاته واحتلال الطرق التي يعتمد عليها في العودة، ما يضطره للعودة لتأمينها. إذا كنت أنت الغازي، ركز هجومك على حاكم بلاد العدو نفسه).

١٢
إذا كنت لا ترغب في القتال، اخدع العدو. يمكننا منع العدو من الالتحام معنا من خلال ترك أثار لمعسكراتنا بالكاد يمكن تتبعها على الأرض. كل ما نحتاجه هو أن نرمي بشيء غريب غير مفهوم وغير متوقع منا في طريق العدو.

١٣
عبر اكتشاف مناورات العدو وأماكن تجمعه، مع بقاءنا مختفين عن الأنظار، يمكننا إبقاء قواتنا مركزة ومكثفة، بينما يجب تفريق وتقسيم العدو. (إظهار العدو نفسه لنا يمكننا من تركيز القوات، بينما بقاءنا مختفين عنه يضطره لتقسيم قواته تحسباً لأي خطوة يمكن لنا أن نتخذها).

١٤
بإمكاننا تجميع جيش ذي جسد وقوام واحد، بينما يجب تقسيم العدو إلى فِرق وكسور، بذلك نكون جمعاً واحداً متوحدين ضد عدو متفرق متشتت، ما يجعلنا كثرة متحدة ضد قلة متفرقة.

١٥
وإذا كنا قادرين على الهجوم على قوة أقل شأناً بقوة أعظم منها، فغريمنا سيكون في كرب لا يُحسد عليه.

١٦
المكان التي سنهاجم عنده يجب ألا يكون معروفاً لأحد، لأن العدو يجب عليه أن يستعد لهجومنا في أكثر من مكان مختلف، فتكون قواته متفرقة مشتتة في اتجاهات مختلفة، وبذلك تكون القوات التي سنقابلها قليلة العدد مقارنة بنا.

١٧
بذلك إذا قام العدو بتقوية طليعة الجيش، فسيُضعف من قوة المؤخرة، وإذا قام بتقوية المؤخرة جاء ذلك على حساب الميمنة، وإذا قام بتقوية الميمنة جاء ذلك على حساب الميسرة. إذا أرسل العدو التعزيزات إلى جميع الأماكن، فهو يصبح بذلك ضعيفاً في كل الأماكن (**الحرب الدفاعية تخون صاحبها بسبب كثرة التعزيزات المطلوبة**).

١٨
الضعف العددي ينبُع من الاستعداد لصد هجمات محتملة في أماكن متعددة، بينما القوة العددية تأتي من إجبار العدو على اتخاذ مثل هذه الاستعدادات لمقابلتنا (أن تضطر العدو لتقسيم وتجزئة قواته، ثم تهجم على كل جزء منها بكامل قوتك).

١٩
عِلمنا بمكان وموعد المعركة القادمة يمكننا من تركيز قوانا من مسافات بعيدة من أجل القتال (حسابات المسافات والأزمان وتطبيق المناسب من الاستراتيجيات بما يسمح للقائد بتقسيم جيشه من أجل السير لمسافات طويلة وسريعة، بما يمكنه من الوصول للمكان المناسب في الوقت المناسب وبالقوة المناسبة).

٢٠
أما إذا كان المكان والزمان غير معروفين، فالميسرة تعجز عن مساعدة الميمنة، وتعجز الميمنة عن إسعاف الميسرة، والمقدمة عاجزة عن التخفيف عن المؤخرة، وتعجز المؤخرة عن دعم المقدمة، حتى ولو كانت المسافة الفاصلة بضع المئات من الأمتار.
[هذه الجملة في الأصل الصيني ينقصها دقة التوضيح، على أنه باستطاعتنا أن نرسم صورة لجيش تتقدم وحداته (مقدمة/مؤخرة/ميمنة/ميسرة) بشكل عشوائي وبدون أوامر محددة وقاطعة للمكان والزمان اللازم التواجد فيهما. إذا سمح قائد جيش لذلك الأمر بأن يحدث (التحرك العشوائي غير المنظم) فسيمكن القضاء التام على جيشه بكل سهولة].

٢١
حتى إذا كان جيش العدو يفوق جيشنا في العدد، فلن يعطي ذلك لهم أي أفضلية علينا، فأنا أستطيع القول أن النصر يمكن تحقيقه وقتها.
(بدون التعارض مع المبدأ الذي يقول أنه في حالة استعداد العدو التام، فالنصر وقتها يكون غير مؤكد، على أن المقصود هنا هو جيش العدو الذي ظل في جهل تام بمكان وزمان المعركة المقبلة، فوقتها يمكن تحقيق النصر عليه).

٢٢

رغم تفوق العدو في العدد، فبإمكاننا منعه من القتال. ضع الخطط التي تكشف نوايا العدو، وادرس إمكانيات نجاح ما يخطط له العدو.

٢٣
أزعج العدو وعكِّر صفو يومه، ثم لاحظ نشاطاته وسكناته، وأجبره على أن يكشف عن نفسه، لكي تكتشف نقاط ضعفه المحتملة (إذا أزعجت العدو فستعرف من ردة فعله نواياه: هل يريد البقاء مختفياً عن الأنظار أو العكس).

٢٤
قارن بحرص جيش العدو بجيشك، لتقف على نقاط القوة المفرطة، وتلك الناقصة.

٢٥
عند القيام بالمناورات والتحركات التكتيكية، فإن أفضل شيء تقوم به هو أن تحجب تماماً وتخفي ما تنوي أن تفعله، وبذلك تكون بمأمن من عيون الجواسيس التي تراقبك، ومن دسائس أحكم العقول.

٢٦
كيف يمكن تحقيق النصر لهم اعتماداً على تكتيك العدو، هذا ما لا يستطيع العوام فهمه.

٢٧
يمكن للجميع أن يروا التكتيك الذي به أقهر العدو، لكن لا يستطيع أحد رؤية الاستراتيجية التي يأتي النصر من خلالها (الجميع يرى كيف يتم الفوز بالمعركة، لكن ما لا يروه هو القائمة الطويلة من الخطط التي سبقت المعركة وأدت لهذا النصر).

٢٨
لا تكرر التكتيك الذي اتبعته من قبل وجاب لك النصر، لكن اجعل تحديد الطرق التي تتبعها يتم وفقاً للظروف المتغيرة (النصر واحد، لكن الطرق المؤدية إليه لا يمكن حصرها).

٢٩
التكتيكات العسكرية تشبه الماء كثيراً، فالماء في حالته الطبيعية ينساب بسرعة من الأماكن العالية إلى المنخفضة.

٣٠
لذا في الحرب، **الطريق السديد هو أن تتجنب نقاط القوة وأن تضرب ما هو ضعيف** (مثل الماء المنساب، الذي يختار في طريقه المسار الأقل مقاومة لهذا الانسياب).

٣١
تحدد المياه مسارها وفقاً لطبيعة الأرض التي تنساب فوقها، والجندي يعمد إلى توفير أسباب النصر وفقاً للعدو الذي يواجهه.

٣٢

إذن، **تماماً مثلما الماء الذي لا يتخذ شكلاً ثابتاً مستديماً، فالحرب لا تعرف شروطاً أو أحوالاً ثابتة**.

٣٣
من يستطيع تعديل تكتيكاته بناء على خصمه، محققاً بذلك النصر، فهذا القائد هو هدية السماء.

٣٤
العناصر الخمسة (الماء، النار، الخشب، المعدن، الأرض) لا تهيمن أو تسود بشكل منتظم، كما أن الفصول الأربعة تعطي المجال لبعضها البعض في التعاقب، كما أنه هناك الأيام القصيرة و تلك الطويلة، والقمر له منازله التي ينير فيها وتلك التي يختفي فيها تماماً (أراد سون تزو ضرب المثل في أن الحرب – مثلها مثل كل شيء في الطبيعة- لا تعتمد على عوامل ثابتة جامدة، بل عوامل متغيرة بطبيعتها).

الفصل السابع

المناورة★ Maneuvering

١
قال سون تزو:
في الحرب، يتلقى القائد العسكري أوامره من الحاكم المدني.
[نلاحظ هنا اختلاف النموذج غير العربي في الحكم، إذ على مر التاريخ العربي دائماً ما نجد الحاكم العسكري هو الحاكم المدني (الفعلي) وهو القائد الأعلى وهو الأمير كبير العائلة وهو الملك السلطان وهو كل شيء، ولربما مرد ذلك كثرة الخيانات والثورات والاغتيالات التي جاءت من أفراد عسكريين كان يفترض م حماية دولهم لا أن يدمروها بأنفسهم تحت مسميات أخرى -**المترجم**].

٢
ما أن يجتمع الجيش ويبدأ في تعزيز قواته، فعلى القائد مزج كل هذه العناصر المختلفة معاً والعمل على انسجامها مع بعضها قبل أن يضرب معسكره (الانسجام ما بين الرتب العليا والدنيا أمر محتم وحيوي قبل دخول ميدان القتال – ويذكر التاريخ الصيني أن سون تزو أكد قائلاً: "كقاعدة عامة، على من يشن الحرب التخلص من أي اضطرابات داخلية قبل أن يهم بمهاجمة عدو خارجي").

٣
بعد ذلك يأتي دور المناورة التكتيكية، التي لا يوجد ما هو أصعب منها، وسبب صعوبتها أنها تتطلب تحويل المُخادع المُراوغ غير المباشر إلى مباشر، وتحويل ما هو ضدك لكي يعمل لصالحك (أي أن تسبق العدو في اقتناص الفرص لصالحك).
[هذه الجملة من أكثر كلام سون تزو غموضاً، وهو أمر يهواه بلا شك في كتاباته، ويحاول المعلقون توضيح الأمور فيقولون: حاول أن تبدو وكأنك على بعد مسيرة طويلة، ثم اقطع المسافات الطويلة بسرعة واحضر إلى ميدان المعركة قبل العدو، اخدع العدو بمظهرك المتكاسل الخامل، حتى يخبو حماسه وتفتر همته فيكثر إهماله ويتروى طويلاً بينما أنت تقطع المسافات جرياً تسابق الريح العاصف].

٤
بالتالي فإن أخذ الطريق الدائري الطويل، بعدما تكون قد أغريت العدو وأغويته فحاد عن طريقك، ورغم أنك بدأت المسير متأخراً عنه - إلا أنك تبلغ هدفك قبله، ما يدل على معرفة وإلمام ببراعة التحييد.

٥
المناورة بالجيش أمرٌ له مزاياه، لكن المناورة بالأعداد الغفيرة غير المنظمة أمرٌ له مخاطره الشديدة. (المردود الناتج من القيام بالمناورات يعتمد في الدرجة الأولى على القائد العسكري وكفاءته الإدارية التنظيمية).

٦
إذا قمت بتحريك جيش بأكمله بعدته وعتاده كاملين من أجل انتهاز فرصة ما، فالاحتمال الأكبر أنك ستصل متأخراً جداً. من الجهة الأخرى، إذا فصلت رتلاً عسكرياً خفيف الحركة لذات الغرض فالأمر سيتضمن التضحية بعتاد ومئونة هذا الرتل الذي سيتركها خلفه. (لا يشجع سون تزو السير لمسافات طويلة بدون مؤن كافية).

٧
بالتالي، إذا أمرت رجالك بالتشمير عن سواعدهم وأجبرتهم على السير المتواصل ليلاً ونهاراً بدون أي راحة، قاطعين ضعف المسافة المعتادة التي كانوا ليقطعونها في السير السريع (١٠٠ وحدة مسافة** لي) فإن قادة فرق جيشك الثلاثة سيقعون في يد العدو.

٨
سيكون الرجال الأقوياء في المقدمة، ومنهكو القوة خلفهم، وبذلك سيبلغ عُشر جيشك مقصده. (المقصود هو ألا تدفع بجنودك مسافة مائتي وحدة مسافة من أجل اكتساب ميزة استراتيجية، سواء كانوا يحملون أمتعتهم ومئونتهم أم لا، فمثل هذه المناورات يجب تقييدها بالمسافات القصيرة، فلا تضحي بكل شيء من أجل السرعة – ما لم تكن تنسحب).

٩
إذا سرت ٥٠ وحدة مسافة لي من أجل أن تناور العدو، فستخسر قائد فرقتك الأولى (من شدة التعب) وسيبلغ نصف رجال الفرقة المكان المطلوب منهم الوصول إليه.

١٠
إذا سرت ٣٠ وحدة مسافة لي للسبب ذاته، فسيبلغ ثلثي رجال الفرقة المكان المطلوب منهم الوصول إليه. (هذا المثال للدلالة على مدى صعوبة المناورة بالجيش).

١١
يمكننا أن نأخذه كأمر مسلم به أن الجيش يضيع بدون قطار الأمتعة، ويضيع إذا حُرم من المؤن، ويضيع إذا حُرم من قاعدة التموين. (يرى المعلقون أن المقصود هو كل شيء من ذخيرة وسلاح وطعام وشراب ووقود وعلف خيل ودواء ...).

١٢
لا يمكننا الدخول في تحالفات قبل أن نكتسب خبرة بطبيعة تضاريس جيراننا من الدول والمقاطعات المجاورة.

١٣

لسنا في حالة تؤهلنا لقيادة الجيش في مسيرة حتى نألف وجه الأرض: جبالها وغاباتها، أجرافها ومخاطرها، مستنقعاتها وأحراشها.

١٤
لن نصبح قادرين على تحويل المزايا الطبيعية لمصلحتنا ما لم نستفد من المرشدين المحليين.

١٥
في الحرب، تدرب على الخداع والاختفاء تحت مظاهر وأشكال خادعة وسوف تنجح.

١٦
القرار بتركيز أو تقسيم القوات يجب اتخاذه وفقاً لظروف المعركة.

١٧
كن مثل الريح، سريعاً ولا تترك أثر، وكن مُحكما (وحدة واحدة متشابكة) مثل الغابة. (يرى المعلقون أن المقصود هو أن تبقى الرتب والصفوف منتظمة عند المسير ببطء، تحسبا لأي هجوم مباغت).

١٨
عند الإغارة والسلب، كن مثل النار الملتهبة، راسخاً مثل الجبل الشامخ. (الأخيرة المقصود منها عندما تتمسك بموقع يحاول العدو إخراجك منه، أو حينما يحاول العدو جرك إلى فخ نصبه لك).

١٩
اجعل خططك مبهمة مثل قطع الليل المظلم لا سبيل لفهمها (من الغير لا من رجالك)، وعندما تتحرك، كن خاطفاً مثل صاعقة السماء.

٢٠
عندما تسلب الأرياف، اجعل الغنائم توزع وتقسم بين رجالك (يكرر سون تزو المرة بعد المرة ضرورة تقسيم الغنائم بين الجنود بالعدل)، وعندما تحتل أراض جديدة، قسمها إلى قطع يستفيد منها الجنود. (يزرعونها ويحصدون غلتها).

٢١
فكر ملياً وبتمعن وتأنى قبل أن تتحرك خطوة واحدة.

٢٢
سيقهر من تعلم براعة ومهارة الخداع بالمظاهر، فهذا هو **فن المناورة**.

هنا حيث ينتهي الفصل السابع من كتابات سون تزو، ويأتي بعده بعض الملاحق والملاحظات، والتي تبدو وكأ ا مستقاة من كتاب حربي آخر يسبق كتابنا هذا، ولا نجد اختلافاً واضحاً في أسلوب كتابته عن أسلوب سون تزو، على أن المعلقين لم يطرحوا أي تساؤلات عن مدى مصداقية هذه الملحق، كما لم يخبرنا المعلقون أيضاً الكثير عن هذا الكتاب الملحق، فمنهم من وصفه بأنه كتاب عسكري قديم، ومنهم من قال أنه كتاب قديم عن الحرب.

٢٣

يقول كتاب إدارة الجيوش:

في ميدان المعركة، لا تذهب الكلمة المنطوقة بعيداً بما يكفي، لذا وجب التأسيس لاستخدام الطبول والأجراس، كما لا يمكن رؤية الأهداف التقليدية بوضوح كاف، لذا وجب التأسيس لاستخدام الأعلام والرايات.

٢٤

الطبول والأجراس والأعلام والرايات هي وسائل تساعد آذان وعيون الجيش على التركيز على نقطة واحدة.

٢٥

بذلك يشكل الجيش وحدة واحدة متآلفة، تجعل الأمر مستحيلاً على الشجاع أن يتقدم بمفرده، وعلى الجبان أن ينسحب بمفرده، وهذا هو فن التعامل مع أعداد كبيرة من الرجال.
(يرى المعلقون أن جُرم من يتقدم وحده يُعادل جُرم من يلوذ بالفرار من المعركة).

٢٦

في القتال الليلي، استعمل بكثرة النيران والطبول، وفي القتال النهاري ركز على الرايات والأعلام، كوسيلة للتأثير على آذان وعيون جيشك.

٢٧

يمكن سرقة الروح المعنوية من الجيش الكبير، ويمكن سرقة حضور القائد الكبير في عقول تابعيه.

(يقول المعلقون أن روح الغضب -إذا سادت في وقت واحد كل الرتب الكبيرة والصغيرة في الجيش- فلا يمكن مقاومة تأثيرها الكبير. عندما يصل جنود الأعداء إلى أرض المعركة فستكون روحهم المعنوية مرتفعة وهممهم كالجبال الشوامخ، وعليه فدورنا هو ألا نقاتلهم على الفور، بل ننتظر حتى تفتر عزيمتهم وتذهب همتهم، ساعتها نضرب بيد من حديد، وبذلك نسرق روحهم المعنوية منهم).

٢٨

الروح المعنوية للجندي تكون في أقصى درجاتها في الصباح (بشرط حصوله على إفطار مقبول -تذكر حينما انهزم الرومانيون بجنود صائمين أمام رجال هانيبل الذين كانوا قد حصلوا على وجبة إفطار شهية) وتبدأ في وقت الظهيرة في الفتور، وفي المساء يكون تفكيره منصبا على العودة إلى المعسكر.

٢٩

لذلك، القائد الماهر يتفادى مهاجمة جيش روحه المعنوية مرتفعة، ويهاجمه عندما يكون عدوه كسولاً بليداً يميل إلى العودة من حيث أتى. هذا هو فن دراسة الحالات النفسية.

٣٠
أن تبقى منظماً هادئاً، تترقب ظهور الفوضى والصخب والهرج والمرج في صفوف العدو – هذا هو فن رباطة الجأش والتحكم في النفس.

٣١
أن تكون بالقرب من الهدف بينما لا زال العدو بعيداً عنه، وأن تنتظر بكل راحة ويسر بينما العدو يعاني الأمرين، وأن تكون تغذيتك سليمة بينما العدو يعاني الجوع وقلة التغذية – هذا هو فن توفير الطاقة الذاتية.

٣٢
أن تحجم عن اعتراض عدو أعلامه منظمة بشكل مثالي، وأن تحجم عن مهاجمة جيش يمشي في هدوء وبشكل ينم عن ثقة كبيرة في النفس – هذا هو فن دراسة الحالات والظروف.

٣٣
من البديهيات العسكرية ألا تصعد مرتفعاً لتقابل عدواً، وألا تعترض طريقه عندما يهبط منه.

٣٤
لا تطارد عدواً سريعاً يكاد يطير، ولا تهاجم جنوداً طبعهم حاد عنيف.

٣٥
لا تبتلع طُعما قدمه العدو لك، ولا تعترض طريق جيش عائد إلى وطنه.

٣٦
عندما تحاصر جيشاً، اترك له منفذًا ليهرب منه (ولا يعني هذا ترك العدو ليهرب، بل توحي له بوجود مخرج لبر الأمان، فتحرمه من شجاعة قتال اليائس من النجاة، بعد ذلك اطحنه بقواتك) ولا تضغط بشدة على عدو يائس.

٣٧
هذا هو فن الحرب.

---

* **تعريف المناورة**:

التحرك والتصرف بطريقة تسلب الغريم من أي ميزة اكتسبها. قتال جيش كبير بالعدد القليل أمر مستهجن، لكن الهجوم على قطاع/جزء/فصيل منه لك عليه ميزة فهذه هي المناورة.

** وحدة قياس المسافة في اللغة الصينية تسمى لي مثلما نستخدم نحن المتر والميل.

الفصل الثامن

تنوع التكتيكات الحربية Variation In Tactics

[حمل هذا الفصل اسم المتغيرات التسعة (The Nine Variables) أيضاً، على أن سون تزو لم يكن يهتم كثيراً بالترقيم، لأنه يرى أنه بناء على تطور الأمور في المعركة تأتي طرق التكتيك، كما أن الرقم تسعة في الصينية يحمل أيضاً معنى العدد الكثير الوافر].

١
قال سون تزو:
في الحرب، يتلقى القائد التعليمات من الحاكم، ثم يجمع جيشه ويركز قواته.
(نلاحظ تكرارها من الفصل السابق، ولربما سبب ذلك استخدامها لبدء هذا الفصل – نلاحظ كذلك قلة نص هذا الفصل، وغموض بعض أجزائه، ما يشجع فرضية فقدان بعض أجزاء من هذا الفصل).

٢
عندما تخوض في بلد صعب (ليس فيه مصادر مياه أو طعام، ذي تضاريس منخفضة)، لا تضرب معسكرك فيه. اتحد مع حلفائك في بلد تتقاطع فيه الطرق الواسعة (كناية عن سهولة التنقل). لا تتسكع في أماكن خطيرة ومعزولة. إذا كنت في أراضٍ مُحاطة ومُحاصرة – الجأ للخداع، إذا كنت في موقف يائس (أرض الموت) – فيتحتم عليك القتال.

٣
١- **هناك طرق عليك ألا تسلكها** (تلك التي تخشى أن ينصب لك عدوك فيها فخاً أو مكيدة)
٢- **هناك جيوش يجب ألا تهاجمها** (إذا وجدت فرصة للهجوم، لكنك أضعف من أن تحقق النصر، فلا تهاجم)
٣- **هناك مدن يجب ألا تحاصرها** (لا تحاصر مدنًا لا تستطيع إدارتها، أو إذا كان تركها لا ضرر فيه عليك)
٤- هناك مواقف لا يجب أن تقاتل فيها بضراوة
٥- **هناك أوامر للحاكم يجب ألا تطيعها** (عندما ترى الطريق الصحيح، اسلكه ولا تنتظر الأوامر).

٤
القائد الضليع بالمزايا التي تنتج عن تنويع التكتيكات الحربية حسب المتغيرات التسعة (راجع الفصل السابع) يعرف كيف يتعامل مع قواته ويوظفها بأحسن طريقة.

٥
القائد غير المُلم بهذه المزايا، قد يكون عالماً بتضاريس البلاد، لكنه لن يتمكن من تحويل هذه المعرفة إلى فائدة عملية.

٦
طالب الحرب غير المتمرس في فنونها الخاصة بتغيير الخطط وفقاً للمتغيرات الحربية، حتى ولو كان عالماً بالمزايا الخمس (سابقة الذكر)، سيفشل في تحقيق أقصى استفادة من جنوده. (إذا كان الطريق قصيراً خالياً من المخاطر – اسلكه. إذا كان جيش العدو معزولاً – هاجمه. إذا كانت مدينة العدو في ظروف محفوفة بالمخاطرة – حاصرها. إذا كان الموقف يسمح بالهجوم الكاسح – يجب أن تحاول الهجوم. إذا توافقت مع الأعراف العسكرية – فيجب طاعة أوامر الحاكم).

٧
في خطط القائد الحكيم، ستنصهر معاً اعتبارات المزايا والعيوب. (يجب انتهاز الفرص السانحة، وتجنب المخاطر المهلكة، دون تهور أو إهدار فرص).

٨
باتخاذ العناصر المواتية في الحسبان: تصبح الخطة الحربية قابلة التنفيذ. باتخاذ العناصر غير المواتية في الحسبان: يتم تذليل الصعاب والمخاطر والبحث عن حلول. (إذا أردتُ أن استغل نقطة ضعف للعدو، يجب أن أحسب كذلك رد فعل العدو الانتقامي جراء ذلك، ثم أحسب المزايا والعيوب الإجمالية). بذلك قد ننجح في تحقيق الجزء الأساس من مخططنا العام.

٩
من الناحية الأخرى، إذا كنا –في خضم مشاكلنا – مستعدين لانتهاز أي فرصة قد تتاح لنا، فيمكننا أن نُخرج أنفسنا من مأزقنا.

١٠
لتقلل من عدد الأعداء – الحق بهم الدمار وسبب لهم الكثير من المشاكل، اجعلهم دائماً مشغولين بمشاكلهم الداخلية، قدم لهم الإغراءات الخادعة حسنة المظهر، واجعلهم يسرعون في الخروج إلى أي مكان وراءها.

(يعلق شيا لن موضحاً: إلحاق الدمار ليس مقصوراً على الأذى البدني، ابذل الإغراءات الكثيرة لأفضل وأحكم رجال العدو فيصبح بدون مستشارين. املأ بلده بالخونة الذين يقيضون نظام حكمه. قم بترتيب المؤامرات والخدع، وازرع الشك بين الحاكم وبين وزرائه. مستخدماً كل حيلة ذكية، تسبب في حدوث التلف والتدهور في ثروات شعبه وخزانته. افسد أخلاقه عبر هدايا ماكرة تؤدي به إلى الجشع وطلب المزيد والمغالاة. أزعج باله ولا ترحه بتقديم امرأة لعوب فاتنة الجمال له. غرر به فاجعله يخرج بجنوده إلى مكان تلحق به شديد الأذى، المناورات كبيرة عدد الجند تست ف من موارد الدولة. أرهق خزينته العامة وبدد موارده وأصوله المالية. احرص على بث روح الفرقة بين صفوفه ولا تسمح له بالوحدة الداخلية).

١١
يعلمنا فن الحرب ألا نعتمد على فرضية عدم هجوم العدو، بل أن نجهز أنفسنا لملاقاته، ليس اعتماداً على فرضية عدم قيامه بالهجوم، بل على حقيقة أننا جعلنا موقفنا العسكري صلباً لا شك في قوته.

١٢
هناك خمسة أخطاء خطيرة تؤثر على القائد العسكري:

١- **الطيش** والتهور المؤدي إلى الهلاك (شجاعة ينقصها التروي مثل الثور الهائج) – مثل هذا العدو لا تقابله بالقوة الغاشمة، بل غرر به إلى كمين ثم اذبحه. (الشجاعة وحدها لا تكفي لتحقيق النصر، إذ يلزمها العقل والتدبر والتروي وحساب العواقب).
٢- **الجبن** المؤدي إلى الوقوع في الأسر (التخلي عن انتهاز الفرص السانحة – الهرب من مواجهة الخطر – الحرص على العودة حياً من المعركة –عدم الاستعداد للمخاطرة).
٣- **حِدة طبع متسرعة**، يمكن استثارتها بسهولة عبر الإهانات.
٤- **حساسية** مفرطة تجاه الشرف والسمعة تسبب الخوف الشديد من الخزي والعار. (لا يجب فهم هذا المقطع على أنه ذم في مبادئ الشرف، بل الذم هنا موجه للحساسية المفرطة، فمن يذود عن شرفه لن يهتم بأشياء أخرى كثيرة، ويمكن وضعه في المكان الذي تريده فيه بسهولة).
٥- **القلق المفرط** على حياة الجنود وعدم الرغبة في المخاطرة بحياتهم. (مرة أخرى، ليس القصد عدم الاكتراث بحياة الجنود، بل المقصود أن الخوف من تقديم أي تضحيات عسكرية حفاظاً على حياة الجنود هو سياسة قصيرة النظر، لأنه على المدى الطويل سيعاني أولئك الجنود من الهزيمة (الأسر – القتل) أو في أفضل الأحوال إطالة زمن الحرب. الشعور بالأسى على الجنود سيدفع القائد لعدم الالتزام بالقواعد وارتكاب الأخطاء الحربية).

١٣
هذه هي الخطايا الخمس المغرية للقائد العسكري، ذات الأثر المدمر على طريقة إدارة الحرب.

١٤
عند هزيمة الجيش ومقتل قائده، فحتماً السبب لن يخرج عن هذه الأخطاء الخمس. اجعل هذه الأخطاء محل تأمل وتفكر وتدبر.

الفصل التاسع

The Army On The March التحرك بالجيش

١
قال سون تزو:
الآن نأتي إلى موضوع أماكن ضرب معسكرات الجيش، ومراقبة العلامات التي تصدر عن جيش العدو. بداية، عليك أن تمر سريعاً فوق الجبال، وتلتزم بمجاورة الوديان.
[المراد هنا هو ألا تتسكع فوق مرتفعات جدباء، ولكن أن تبقى بالقرب من موارد المياه والطعام]

٢
اضرب معسكرك في الأماكن العالية (ليس المقصود قمم الجبال، بل قمم التلال والهضاب الصغيرة، المرتفعة قليلاً فوق مستوى أراضي العدو) المواجهة للشمس. لا تتسلق المرتفعات من أجل أن تقاتل. هذا يكفي فيما يخص حروب الجبال.

٣
بعدما تعبر النهر، يجب عليك أن تبتعد عنه. [كي تغري العدو ليعبر خلفك].

٤
عندما تعبر قوات غازية نهرا ما سيرا بطريقتها المعتادة، لا تتقدم لتقابلها في منتصف المعبر المائي، فالأفضل دائما هو أن تترك نصف القوات تعبر، ثم تقوم بالهجوم.

٥
إذا كنت متحمسا للقتال، فيجب عليك ألا تقابل عدوا بالقرب من نهر يريد عبوره [خوفاً ألا يعبره بسبب قربك منه].

٦
أرس سفنك في مكان أعلى من العدو (فلا يغمره المد حين يأتي)، وواجه الشمس دائماً، ولا تبحر بسفنك عكس التيار لتواجه العدو (لا تعط عدوك ميزة استغلال التيار ضدك)، هذا يكفي فيما يخص الحرب النهرية.

٧
عندما تقطع أراض/مستنقعات مالحة (أي تكاد تنخفض تحت مستوى مياه البحر فتنشع منها المياه المالحة)، فجل اهتمامك يجب أن ينصب على اجتيازها سريعاً، بدون أي تلكؤ أو تلكع.

[الأرض المالحة لا ماء صالح للشرب فيها، كما أنها عادة ما تتميز بأنها مفتوحة منبسطة، تناسب من يريد أن ينقض عليك].

٨
إذا اضطررت للقتال على أراض/مستنقعات مالحة، فيجب أن تفعل ذلك بالقرب من مصدر للماء الصالح للشرب، وبالقرب من مصدر العشب، وأن تجعل مؤخرتك محمية بمنطقة تنمو فيها الأشجار، هذا يكفي فيما يخص الحرب على الأراضي المالحة.

٩
على الأرض الجافة المستوية، احتل موقعاً سهلاً تجاورك فيه من اليمين ومن الخلف المرتفعات، وبهذا يواجه الخطر المقدمة دائماً، وتقبع السلامة في الخلف، هذا يكفي فيما يخص العسكرة فوق أرض منبسطة. [يرى المعلقون أن على الجيش أن يقاتل وعلى يساره مجرى مائي أو مستنقع، وعلى يمينه تل أو مرتفع].

١٠
هذه الفروع الأربعة للمعرفة العسكرية (الجبال، الأنهار، المستنقعات، الأراضي المنبسطة) هي التي مكنت الإمبراطور الأصفر من قهر الحكام الأربعة.

١١
تفضل جميع الجيوش الأماكن المرتفعة عن تلك المنخفضة، وتلك المشمسة عن تلك المظلمة الداكنة.

١٢
إذا كنت تهتم لشؤون جنودك، فستعسكر فوق أرض صلبة، وبذلك لن تنهك الأمراض الجيش، وهذه هي بداية النصر. [الأرض الصلبة غير رطبة، جيدة التهوية، لا تسمح للأمراض بالانتشار فيها].

١٣
عندما تبلغ تلاً أو ضفة نهر، احرص على احتلال الجانب الأكثر إضاءة، وأن تكون المنحدرات على يمين المؤخرة. بذلك يمكنك التصرف على الفور لمصلحة الجنود وتستغل المزايا الطبيعية لعنصر الأرض.

١٤
عندما تتسبب الأمطار الغزيرة المنهمرة في فيضان النهر الذي تريد عبوره، وأن يعم الزبد والرغاء صفحة الماء، ساعتها يجب عليك أن تنتظر حتى يهدأ الماء ويقر.

١٥
الأراضي التي تنتشر فيها الأجراف والمنحدرات الحادة، وتكثر فيها مجاري السيول والفيضانات، والتجويفات الطبيعية الغائرة، والأماكن المحاطة من جميع الجهات (سهلة الدخول فيها، صعبة الخروج منها)، الأدغال المتشابكة، المستنقعات الطميية، الممرات والشُعب الضيقة المتقاطعة، كل هذه الأماكن يجب تركها بأقصى سرعة ممكنة وألا تقترب منها.

١٦
بينما نتجنب نحن مثل هذه الأماكن سابقة الذكر، يجب علينا جعل العدو يقترب منها، وبينما نواجه مثل هذه الأماكن، يجب أن نجعل هذه الأماكن في مؤخرة العدو.

١٧
إذا كان هناك أي تلال أو مرتفعات، أو برك مياه يكسو سطحها النباتات العائمة، أو أحواض مائية يعلوها العشب المتكسر، أو غابات ذات زروع كثيفة، هذه الأماكن يجب استطلاعها جيدا وعمل دوريات عسكرية تحرسها، فهذه الأماكن من أفضل الطرق والوسائل لنصب الأكمنة ودس الجواسيس وعناصر الاستطلاع. (يرى المعلقون كذلك أن مثل هذه الأماكن تساعد الخونة على الدخول إلى المعسكر ثم العودة بالأخبار).

١٨
عندما يكون العدو على مقربة وهادئاً، فهو يعتمد على المزايا الطبيعية لموقعه والتي تعطيه قوة إضافية.

١٩
عندما يكون بعيدا ومتحفظًا ثم يحاول استفزاز من أمامه لبدء المعركة، فهو متشوق لكي يبدأ الطرف الآخر القتال. (ربما لأننا في الموقف الأفضل ولذا يريدنا أن نتخلى عنه ونخرج منه).

٢٠
إذا كان الموقع الذي عسكر فيه سهل الوصول إليه، فهو يعرض طُعما وينصب شركاً.

٢١
إذا مالت الأشجار وتحركت في الغابة، فهذا معناه أن العدو يتقدم. ظهور عدد من الحواجز وسط العشب الأخضر الكثيف يعني أن العدو يريدنا أن نتشكك ونرتاب.

٢٢
ارتفاع الطيور في طيرانها علامة على كمين. جفول الحيوانات دليل على اقتراب الهجوم الوشيك.

٢٣
ارتفاع التراب في عنان السماء على شكل عامودي علامة اقتراب العربات الحربية. عند انخفاض مستوى ارتفاع التراب وانتشاره بشكل عرضي، علامة على اقتراب جنود المشاة. عند انتشار التراب في أشكال عشوائية ومن أماكن مختلفة، فهذا يعني إرسال الفرق من أجل التموين والمئونة. سحب التراب المتحركة ذهاباً وغياباً تعني أن العدو ينصب معسكره.

٢٤
الكلمات المتواضعة والتجهيزات المتزايدة علامة استعداد العدو للتقدم. الكلمات العنيفة والتقدم للأمام كما لو كان ينوي الهجوم علامة نية الانسحاب والتقهقر.

٢٥
عندما تتقدم العربات الحربية أولاً وتأخذ مواقعها على الأجنحة، فهذه علامة أن العدو يأخذ وضعية الهجوم.

٢٦
رُسل السلام بدون عهود مختومة موثقة علامة مؤامرة ومكيدة. (زاد المعلقون وثيقة مختومة مع رهائن كضمان لالتزام الطرفين).

٢٧
عند كثرة الهرج والجري، وعندما يتجمع الجنود ضمن فرقهم تحت راياتهم في أماكنهم المفروضة، فهذا علامة اقتراب اللحظة الحرجة.

٢٨
عندما ترى البعض يتقدم والبعض يتأخر، فهذه علامة الإغراء للوقوع في شرك.

٢٩
عندما يقف الجنود منحنين على رماحهم، فهذه علامة الجوع الشديد.

٣٠
عندما يبدأ السقاة بأنفسهم فيشربون أولاً، فهذه علامة معاناة الجيش من العطش الشديد.

٣١
عندما يعثر العدو على ثغرة تتيح له تحقيق المكاسب فلا يتحرك لاستغلالها، فهذه علامة إرهاق الجنود الشديد.

٣٢
عندما تتجمع الطيور في أي مكان تريده، فهذه علامة خلو هذه الأماكن. الجلبة الصاخبة ليلاً علامة العصبية والهلع.

٣٣
ظهور القلاقل والشغب في المعسكر علامة ضعف سلطة القائد. تنقل الرايات والأعلام من مكان لآخر علامة التحريض على العصيان. إذا كان الضباط غاضبون من جنودهم، فهذه علامة أن الرجال متعبون مرهقون مضجرون.

٣٤
عندما يُطعم الجيش الجياد حبوبا، ويذبح ماشيته من أجل الطعام (الوضع الطبيعي يقتضي أن يعتمد الرجال على الحبوب في طعامهم، والجياد على العشب) وعندما لا يعود الرجال إلى خيامهم، فهذه علامة الاستعداد للقتال حتى الموت.

٣٥

مشهد همس المجموعات الصغيرة من الجنود وصدور النغمات المقهورة من أصواتهم تشير إلى انتشار السخط بين الرتب والأفراد.

٣٦
المكافآت المتكررة في وقت قصير تعني قرب نفاد موارد العدو (عندما يكون الجيش مُحاصرا، يزداد الخوف من حدوث التمرد والعصيان، ولذا يتم اللجوء للمكافآت السخية لإبقاء الرجال في مزاج معتدل)، بينما العقوبات الكثيرة تفضح حالة اليأس الشديد (بسبب غياب النظام يتم اللجوء للعقوبات المغلظة التي لم تكن معهودة من قبل).

٣٧
القائد الذي يعمد للتهديد والوعيد والطغيان في البداية، ثم تحت وطأة الخوف من أعداد العدو يحسن معاملة رجاله خوفاً من تمردهم، لهو دليل على انعدام الحد الأدنى من الفهم والإدراك.

٣٨
عند قدوم وفود العدو حاملة للهدايا مكيلة للمديح، فهذه علامة رغبة العدو في عقد هدنة (ربما بسبب خوار قوته أو لسبب آخر، على أن هذه النقطة بديهية لا تحتاج كاتبا مثل سون تزو ليوضحها لنا).

٣٩
عندما تسير قوات العدو في حالة من الغضب، وتبقى واقفة في مواجهة قواتنا لفترة طويلة، دون أن تأخذ راحة أو تأتي قوات بديلة لها، فالموقف ساعتها يحتاج لحذر شديد واحتراس كبير.

٤٠
إذا كانت قواتنا لا تزيد في العدد عن العدو، فهذا يكفي إذ أنه وقتها لا يمكن اللجوء للهجوم المباشر. جل ما يمكننا عمله وقتها هو تركيز قوانا الحالية، وأن نبقي أعيننا مركزة على العدو، وأن نجد في طلب الإمدادات. [هذه الجملة غريبة مقارنة بسياق النص، ولعل أفضل تفسير من المعلقين التالي: عند تساوي أرقام الطرفين، وغياب أي ميزة تصب في صالح أي من الطرفين، ورغم أننا لسنا من القوة بحيث نشن هجوما نستطيع الحفاظ عليه، فبإمكاننا دائماً البحث عمن يتطوع في صفوفنا ويقاتل معنا. الغرض هو تركيز الرجال الأشداء للقتال، والمتطوعين والملتحقين الجدد للأعمال الأقل درجة من حيث القوة والأهمية، لكن دون اللجوء للمرتزقة).

٤١
من لا يفكر في كل صغيرة وكبيرة قبل الهجوم، ومن يستهين بعدوه ويقلل من شأنه، سيقع في أسر هذا العدو حتما. (الثعابين والعقارب الصغيرة تحمل سموما قاتلة، فلا يمكن الاستهانة بها، فما بالك بجيش خرج للقتال).

٤٢

إذا عاقبت الجنود قبل أن يصبحوا مرتبطين بك، فلن يصبحوا مطيعين، وبدون كونهم مطيعين، فهم غير ذوي نفع أو جدوى. إذا أصبح الجنود مرتبطين بك، ولم توقع عليهم أي عقاب، فهم أيضا وقتها غير ذوي نفع أو جدوى.

٤٣
لذا يجب معاملة الجنود في المقام الأول بإنسانية، لكن مع إبقائهم تحت السيطرة باستخدام النظام الصارم، فهذا هو السبيل للانتصار.

٤٤
إذا تم تدريب الجنود على طاعة الأوامر حتى صارت عادة عندهم، فالجيش سيكون وقتها منظما بشكل جيد، وإذا لم يحدث ذلك فالنظام سيكون سيئاً.

٤٥
إذا أظهر القائد الثقة في رجاله، لكن يصر دائما على أن تتم طاعة أوامره، فالمكسب سيكون متبادلاً (طاعة الجنود لأوامر القائد، وثقة الجنود في القائد).

الفصل العاشر

التضاريس Terrain

يتعامل هذا الفصل مع موضوع التضاريس في النقاط من ١ إلى ١٣، إلا أن هذا الموضوع قد تمت معالجته باستفاضة في الفصل السادس. المهالك الست للجيوش يتم شرحها في النقاط من ١٤ إلى ٢٠، وأما بقية نقاط هذا الفصل فهي نصائح متنوعة متفرقة.

١

قال سون تزو:

يمكننا تقسيم التضاريس إلى ستة أنواع،

١- الأراضي سهلة المنال (ذات طرق معبدة وطرق اتصال متعددة)
٢- الأراضي المحفوفة بالمخاطر (التي إن دخلتها وقعت في فخ يسهل نصبه لك)
٣- الأراضي المُعوقة (الأراضي التي تؤخرك وتؤخر من يأتي على أثرك)
٤- الممرات الضيقة
٥- المرتفعات الخطرة
٦- المواقع شديدة البعد عن العدو

(قد لا يتفق واقعنا المعاصر مع هذا التقسيم، إلا أنه يظل يخبرنا عن طريقة التفكير العسكرية الصينية القديمة).

٢

الأراضي التي يمكن عبورها بسهولة من كلا طرفي القتال، نسميها سهلة المنال.

٣

مع أراض هذه طبيعتها، يتعين عليك أن تحتلها قبل العدو، وخاصة المناطق المرتفعة المشمسة (ذات مستوى الرؤية الأكبر)، واحرص على حماية خطوط إمداداتك فيها. وقتها يمكنك القتال ومعك الأفضلية. (سر الانتصار في الحرب يكمن في متانة خطوط الإمداد والاتصالات – نابليون بونابرت)

٤

الأراضي التي يمكن الانسحاب منها، لكن يصعب احتلالها مرة أخرى، نسميها المحفوفة بالمخاطر.

٥

في موقف مثل هذا، وإذا كان العدو غير مستعد، فيمكنك أن تباغته بهجوم مفاجئ وتهزمه. لكن إذا كان العدو مستعداً لمجيئك، وفشلت في هزيمته، وكانت الرجعة مستحيلة، فستحل بك الكوارث.

٦
إذا كانت الأرض يستحيل على كلا الطرفين إحكام السيطرة عليها من خلال اتخاذ الخطوة الأولى، فهذه نسميها المُعوقة. (كلا الطرفين يعرف أن اتخاذ الخطوة الأولى في غير صالحه، فيبقى الطرفان في حالة جمود تنتهي بالوقوع في مأزق كبير).

٧
في موقف مثل هذا، وحتى لو كان العدو يقدم لنا طُعماً جذاباً، (بإدارة ظهره لنا والتظاهر بالانسحاب – ما يغرينا بترك موقعنا الحالي) فمن الأفضل أن لا نشتت قوانا، بل ننسحب، بطريقة تغري العدو بنا، وما أن يتحرك قسماً من جيشه ويخرج للقاءنا، حتى يمكننا ساعتها الهجوم عليه وبذلك تكون لنا الأفضلية.

٨
بالنسبة إلى الممرات الضيقة، فإذا استطعت احتلالها مقدماً، فاحرص على تحصينها جيداً وانتظر قدوم العدو. (بذلك تكون المبادرة في أيدينا، إذ عبر التحرك المباغت والمفاجئ نضع العدو تحت رحمتنا).

٩
رغم قدرة العدو على إحباط خططك لاحتلال ممر ما، لكن لا تذهب خلفه إذا قام هو بتحصين ممر ما جيداً، وأما إذا كان التحصين ضعيفاً فاذهب خلفه.

١٠
بالنسبة للمرتفعات الخطيرة، وإذا كنت تسبق الخصم، فعليك باحتلال النقاط المرتفعة والمشمسة، ثم اقبع في انتظار العدو. (ميزة احتلال المرتفعات تكمن في صعوبة معرفة العدو لما تخطط له، وبذلك لا يستطيع أن يُملي عليك قراراتك. (يحكي التاريخ عن جيوش عسكرت في سهول وتركت مرتفعات، فجاءت الأمطار والسيول فاجتاحت سهول معسكراتهم، ولذا فالمرتفعات ذات مزايا كثيرة).

١١
إذا سبقك العدو لاحتلال المرتفعات، لا تتبعه، لكن انسحب وأغره بالنزول ورائك.

١٢
إذا كنت في موقع يبعد بمسافة طويلة جداً عن العدو، وكانت قوى كلا الطرفين متساوية، فلن يكون سهلاً استثارته لبدء القتال بينكما، بل وسيكون القتال في غير مصلحتنا. (لا ينبغي أن نفكر في خوض مسيرات طويلة منهكة، بينما العدو ينتظرنا بكامل قواه).

١٣

هذه هي المبادئ الست المرتبطة بالأرض. القائد العسكري الذي بلغ موقع المسؤولية عليه أن يدرس هذه المبادئ جيداً.

١٤
تتعرض الجيوش لست أنواع من المهالك (المخاطر)، لا تنشأ من الأسباب الطبيعية، لكن من أخطاء قيادية، يتحمل مسؤوليتها القائد العسكري، وهي:

١- الاندفاع/الانهيار/الفرار
٢- التمرد وعصيان الأوامر
٣- الانهيار الداخلي وفقدان الشجاعة
٤- الخراب
٥- انهيار التنظيم
٦- الهزيمة المنكرة

١٥
عند تساوي بقية المؤثرات وحيادها، وتم الزج بقوة عسكرية ما، ضد قوة عسكرية أخرى أقوى منها بعشرة مرات أو تزيد، فالنتيجة هي حدوث حالة من الاندفاع غير المحسوب للفرقة الأولى.

١٦
إذا كان الجنود العاديون أقوياء، بينما ضباطهم ضعفاء، فالنتيجة الحتمية هي حدوث حالة من التمرد والعصيان الجماعي للأوامر بين الجنود. أما عند حدوث العكس، فستنشأ حالة من الانهيار الداخلي وفقدان الشجاعة والضعف العام. (الضباط الأقوياء يريدون التقدم فيضغطون على الجنود الضعفاء، فينهار الجنود بشكل جماعي وتعم الفوضى).

١٧
عندما تغضب الرُتب العليا من الضباط، ويبدؤون هم في عصيان الأوامر (بعدم انتظار الأوامر الصادرة لهم والتصرف حسبما يرونه في مصلحتهم)، فتجدهم عند لقاء العدو يقاتلون وفقاً لأهوائهم وانطلاقاً من شعورهم بالاستياء، من قبل أن يُصدر القائد العام الأمر لهم ببدء القتال، فالنتيجة الحتمية هي حلول الخراب والدمار.

١٨
عند ضعف القائد العام وتجريده من أي صلاحيات لتنفيذ أوامره، وعندما تكون أوامره غير واضحة أو جلية، وعند عدم وجود واجبات روتينية محددة وواضحة منوطة بالضباط والجنود، وعند تنظيم الرتب العسكرية بشكل فاسد عشوائي، فالنتيجة هي حدوث حالة متقدمة من الانهيار في الكيان التنظيمي العسكري.

١٩
عندما يعجز القائد عن تقدير قوة العدو، فيسمح لقوة صغيرة بقتال قوة أكبر منها، أو يدفع بفصيلة ضعيفة بسرعة تجاه أخرى أقوى منها، ويهمل وضع أفضل الجنود في الصفوف

الأمامية، فالنتيجة هي الهزيمة المنكرة (وضع أفضل الرجال في الصفوف الأمامية يرفع معنويات الجنود، ويقلل من معنويات جنود العدو).

٢٠
هذه هي الحالات الستة من الهزائم المحتمة في ميدان القتال، والتي يجب دراستها بعناية من قِبل القائد الذي تم تعيينه في موقع المسؤولية.

٢١
التنظيم السوي للدولة هو أفضل حليف للجندي، وأما القدرة على حسن تقدير قوة الخصم، والتحكم في الأسباب المؤدية إلى النصر، وحسن حساب الصعاب والمتاعب والعقبات، والمخاطر والمسافات، فتلك التي تضع قدرات القائد العظيم تحت الاختبار.

٢٢
من يعرف كل هذه النقاط جيداً، ويضع تلك المعرفة عند الحرب قيد التنفيذ، فسينتصر في معاركه. من لا يعرفها، أو لا يضعها قيد التنفيذ، فبكل تأكيد سيعاني ويلات الهزيمة.

٢٣
إذا كانت نتيجة القتال هي النصر حتماً، فعندها يجب أن تقاتل، حتى ولو منعك الحاكم العام من ذلك. إذا لم يكن القتال ليؤدي إلى النصر، فعندها يجب ألا تقاتل، حتى ولو أمر الحاكم العام بذلك. (إذا حكم القصر مجريات القتال (بالهجوم والانسحاب)– بدلاً من القائد العسكري العام، فلن تتحقق أي نتائج ملموسة فوق أرض المعركة).
(تروي لنا مذكرات لواءات الجيش المصري المنسحبين بجنودهم ومعدا م في الحرب التي انتهت زيمة القوات المصرية في ٦ يونيو من العام ١٩٦٧ كيف صدرت لهم الأوامر بالعودة لقتال الجيش الإسرائيلي المنتشي بنصره المظفر وفرار القوات العربية من أمامه بفضل استعداده الجيد لهذه الحرب، ما أدى لإبادة فرق عسكرية بأكملها، وترك غيرها ليموت عطشاً في صحراء سيناء، بسبب ضعف الاستعدادات الحربية المصرية، ولو عصوا الأوامر الصادرة إليهم بقتال لا جدوى منه، لكانوا أنقذوا أنفسهم وأنقذوا جنودهم).

٢٤
القائد العسكري الذي يتقدم دون أن يكون غرضه الشهرة، وينسحب دون الخوف من لحاق الخزي والعار باسمه، الذي يسيطر علي فكره شيء واحد هو حماية وطنه وخدمة الملك، فهذا القائد هو درة تاج الدولة.

٢٥
انظر إلى جنودك كما لو كانوا أطفالك، وهم سيتبعونك وقتها إلى مهالك الوديان العميقة، وانظر إليهم كما لو كانوا أحب أبنائك إليك، وهم سيقفون معك حتى يلقوا حتفهم. (أن ترتدي أقل ملابسهم التي يرتدونها قدراً، وأن تأكل أدنى طعام يحصلون عليه، وأن تسير كما يسيرون، وأن تركب ما يركبون، وأن تحمل على ظهرك مثل ما يحملون، ...).

٢٦

إذا كنت –على أية حال- طيباً متساهلاً، لكن غير قادر على جعل جنودك يعرفون حدود سلطاتك عليهم، وإذا كنت طيب القلب – غير قادر على فرض أوامرك بالقوة، وغير قادر – فوق كل ذلك- على قمع مظاهر الفوضى والشغب، فوقتها يصبح جنودك مثل الأطفال المدللين – لا نفع يُرتجى منهم أو فائدة. (إذا خافك الجنود وخشوك – لم يخشوا العدو).

٢٧
إذا علمنا أن الجنود في وضع يسمح لهم بالهجوم، ولم ندري بأن العدو في وضع لا يسمح له بالهجوم، فنحن وقتها نكون قد قطعنا نصف الطريق فقط إلى النصر.

٢٨
إذا علمنا أن العدو في وضع يسمح له بالهجوم، ولم ندري بأن الجنود في وضع لا يسمح لهم بالهجوم، فنحن وقتها نكون قد قطعنا نصف الطريق فقط إلى النصر.

٢٩
إذا علمنا أن العدو في وضع يسمح له بالهجوم، وعلمنا كذلك بأن الجنود في وضع يسمح لهم بالهجوم، ولم ندري بأن طبيعة تضاريس أرض المعركة تجعل القتال غير مجدي، فنحن وقتها نكون لا زلنا قد قطعنا نصف الطريق فقط إلى النصر.

٣٠
بناء على ذلك، فالجندي المحنك الخبير، ما أن يصبح في وضع الحركة، لا تصيبه الحيرة أو الارتباك، وما أن يعسكر، فهو لا يخسر أي شيء. (لأنه يحسب كل شيء قبل أن يتحرك، ويتحرى أسباب النصر جيداً، ويعمد على جعلها تعمل لصالحه، ولذا فهو عندما يتحرك، فهو لا يرتكب أي خطأ).

٣١
وهكذا تصح المقولة: إذا عرفت عدوك وعرفت نفسك، فالنصر لن يصبح محل شك. إذا عرفت طبيعة سماء وطبيعة أرض المعركة، فأنت تجعل انتصارك كاملاً.

الفصل الحادي عشر

The Nine Situations المواقف/الحالات/الأوضاع التسع

(يتعامل هذا الفصل مع تسع حالات يجد الواحد منا نفسه فيها، هذه الحالات التسعة يتم تشبيهها بالأنواع التسع لتضاريس الأرض).

١
قال سون تزو:
فن الحرب يعرف تسعة أنواع من الأراضي:
١- الأرض المُشتِتة (التي تُشتت)
٢- الأرض السهلة
٣- الأرض التي تستحق مشقة الاستيلاء عليها
٤- الأرض المفتوحة
٥- أرض تقاطعات الطرق
٦- الأرض الخطيرة/الحرجة
٧- الأرض الصعبة
٨- الأرض المُحاطة
٩- الأرض الميئوس منها/المُهلكة

٢
عندما يقاتل القائد على أرضه، فهو يقف على أرض مُـشتِـتة. (سُميت كذلك لأن الجنود يعلمون قربهم من أرضهم وبيوتهم، وهم حتماً في حالة شوق للعودة إلى زوجاتهم وأبنائهم، ولذا سينتهزون الفرصة التي تسنح أثناء القتال، لينتشروا في الأرض متشتتين في كل الاتجاهات فارين إلى وطنهم).

٣
وعندما يتغلغل القائد داخل أرض معادية لمسافة قصيرة، فهو يقف على أرض سهلة (بسبب سهولة الانسحاب منها والعودة إلى أرضه).

٤
الأرض التي يجاب الاستيلاء عليها، المنفعة لكلا طرفي الصراع، هي أرض تستحق مشقة ومئونة الاستيلاء عليها. (تشمل الأرض التي يستطيع القلة والضعفاء الدفاع عنها بل والانتصار فيها على الأقوياء، مثل الممرات الضيقة).

5
الأرض المفتوحة هي تلك التي يستطيع كلا الطرفين التحرك فيها بحرية كاملة، تدعمها شبكة طرق متصلة ومتقاطعة.

٦
الأرض التي تشكل مفتاح الوصول لثلاث دول متجاورة (أرضنا، أرض العدو، أرض الدول المجاورة) بطريقة تجعل من يحتلها أولاً قادراً على إخضاع الإمبراطورية بأكملها لسيطرته (يحصل وقتها على ولاء الباقين) والأرض التي تحتوي على الكثير من طرق المواصلات المتقاطعة والمتقابلة هي أرض تقاطعات الطرق.

٧
عندما يتغلغل الجيش عميقاً داخل قلب أرض العدو، تاركًا عدداً من المدن الحصينة وراءه لم يفتحها، فهذه الأرض تكون خطرة (عندما يبلغ جيش ما هذه النقطة، فهو في موضع خطير).

٨
الغابات والأجراف الوعرة والمستنقعات العميقة والضحلة، وجميع الأراضي التي يصعب عبورها إلا بشق الأنفس، هذه الأرض تسمى الأرض الصعبة.

٩
الأرض التي لا يمكن الوصول إليها إلا عبر مداخل وممرات ضيقة، والتي لا يمكن الانسحاب منها إلا عبر ممرات غير مأمونة، مما يجعل فصيلة صغيرة للعدو قادرة على سحق عددٍ كبيرٍ من قواتنا، هذه الأرض تسمى الأرض المُحاطة (محفوفة بالمخاطر).

١٠
الأرض التي يمكننا النجاة عليها من الهلاك -فقط عبر القتال الشامل المستبسل دون أي تأخير، تسمى الأرض اليائسة (تشبه سابقتها، عدا أنها بلا سبيل نجاة واضح، كحال قارب يغرق أو بيت يحترق).

١١
لذا لا تقاتل أبداً على الأرض المُشتتة، ولا تقف على الأرض السهلة، ولا تهاجم على الأرض التي تستحق مشقة الاستيلاء عليها. [إذا حصل العدو بالفعل على الوضع الأفضل، وأصبح لديه مزايا تفرض علينا ألا نهاجمه، بل نغريه (بتصنع الفرار) للخروج إلى الأرض التي يكون لنا نحن عليها المزايا والأفضلية].

١٢
لا تحاول سد طريق العدو فوق الأرض المفتوحة [لأن ذلك سيقلب الأمور عليك وسيضع القوة المهاجمة في وضع صعب للغاية] وفوق أرض تقاطعات الطرق تحالف مع جيرانك.

١٣

انهب واسرق بأقصى قوتك فوق الأرض الخطرة (هذه النصيحة تعارض المبادئ الاستراتيجية المتعارف عليها، من عدم معاداة أهل أرض العدو، والإحسان إليهم لكسبهم في صفك، فلا يكونوا مسماراً في ظهرك، ولعله قصد نفي ذلك لا الحث عليه، لكن كتابات المعلقين تمضي مؤيدة لعكس ظننا هذا).

١٤
فوق الأرض المُحاطة، عليك بالخدعة والحيلة [ابتكر الجديد المناسب للموقف بما يضلل العدو]، وفوق الأرض الميئوس منها: قاتل [حيث أن القتال حين لا تلوح في الأفق فرصة للهرب يدفع الجندي لأن يُعطي كل ما عنده أملاً في النجاة بالانتصار].

١٥
قدامى القادة المهرة المحنكين عرفوا كيف يدقون إسفيناً بين مقدمة ومؤخرة جيش العدو (يفصلون تماماً بينهما) مانعين الاتصال والتعاون بين وحدات الجيش الكبيرة والصغيرة، مانعين إنقاذ وحدات العدو القوية لتلك الضعيفة المصابة، ومانعين قادة العدو من لَـمِ شمل فلول جنودهم والعودة بهم للمعركة.

١٦
عندما كان جنود العدو متحدين، تمكن القادة القدامى من نشر الفوضى بين أفراد العدو [لا تسمح لهم بالتجمع].

١٧
عندما كان ذلك في مصلحتهم، أصدر قدامى القادة الأوامر بالتحرك للأمام، وعندما لم يكن كذلك، أصدروا الأمر بالتوقف [التقدم بغرض بث الفوضى بين العدو، والتوقف إذا لم يكن التحرك ليأتي بفائدة. إذا تجمعت قوات العدو، فلا تسمح له بأن ينتظم].

١٨
إذا سألتني ما العمل مع عدو كثير العدد، ضخم الحجم، منظم الصفوف والخطوط، على أهبة الاستعداد للسير إليك؟ أجيبك التالي: ابدأ بالاستيلاء على شيء له قيمة كبيرة عند العدو، عندها سيطيع العدو رغباتك.

١٩
السرعة هي جوهر الحرب، واحرص على الاستفادة من عدم استعداد العدو، وشق طريقك مستخدماً سبلاً غير متوقعة، وهاجم النقاط غير المحروسة.

٢٠
فيما يلي المبادئ التي يجب مراعاتها من قِـبل القوات المهاجمة، فكلما تعمقت قواتك في قلب حدود العدو، كلما زاد تماسك جنودك، وهكذا لن يتمكن المدافعون من النيل منك.

٢١
أغز البلاد الخصيبة من أجل إمداد جيشك بالطعام.

٢٢
ادرس بعناية أسباب وعوامل راحة جنودك [رفـّه عنهم، عالجهم، تبسط معهم، أعطهم ما يفيض عن حاجتهم من الطعام والشراب]، ولا تقم بفرض الضرائب الزائدة عليهم. ركز طاقتك وادخر قواك. ابق جيشك مترابطاً ومتحركاً على الدوام [بحيث لا يعرف العدو مكاناً محدداً لك] واخترع خططاً مبهمة غير مفهومة [من قِـبل العدو].

٢٣
اقذف بجنودك في مواقف لا مهرب منها، وهم ساعتها سيفضلون الموت على الفرار. إذا واجه جنودك الموت، فلا يوجد شيء يعجزون عن تحقيقه. وقتها سيبذل الجنود والضباط معاً أقصى ما لديهم من طاقات.

٢٤
يفقد الجنود في المواقف اليائسة الإحساس بالخوف، فإذا لم يكن هناك أي مهرب فسيقفون ثابتين، إذا كانوا فوق أرض العدو، فستكون مقدمتهم عنيدة، إذا لم يكن هناك أي مساعدات تُرتجى، فسيقاتلون بشدة وصلابة.

٢٥
بذلك وبدون إصدار أوامر لهم، سيكون الجنود حينها في حالة عطاء دون سؤال، ينفذون ما تريده قبل أن تطلبه منهم، بدون أي تحفظات أو حدود، في حالة قصوى من العطاء، حيث يمكنك الثقة بهم.

٢٦
امنع التعاطي في أفكار نذر الخير والتشاؤم، واقض على أي خرافات أو شكوك، وحتى يأتي الموت ذاته، فلا يجب الخوف من أي فترات هدوء. [الخرافات تجلب الخوف واليأس، وتقتل الرجال مئات المرات قبل أن يلقوا حتفهم فعلاً. يجب القضاء على التعاطي بالسحر والتنجيم واستطلاع النجوم بين الجنود، فذلك يُدخل الخوف إلى عقولهم].

٢٧
إذا لم يعد جنودك مهتمين بالحصول على الأموال، فلا تظن ذلك مرده زهدهم في الغنى، وإذا لم تعد حياتهم طويلة مديدة، فلا تظن لك سببه عدم رغبتهم في العيش. [يريد سون تزو القول أن الجنود ما هم إلا بشر، تراودهم أطماع الاغتناء والعمر المديد، لذا فلا تقذف في طريقهم أي مغريات تشجع لديهم هذه الرغبات "الطبيعية" التي تجعلهم يتركون القتال ويقبلون على الدنيا].

٢٨
في اليوم الذي تصدر فيه الأوامر للجنود بالقتال، سيذرف الجنود الدموع، وتسيل على خدودهم حتى تبلل ملابسهم. [ليس ذلك مرده الخوف، بل لأنهم عاقدو النية على تنفيذ الأوامر أو الموت دونها] لكن دع هؤلاء يطؤون أرض المعركة، وستجدهم يظهرون شجاعة شو أو كيو.
[البطل شو رجل عاصر سون تزو، وقد تم تكليفه باغتيال الحاكم وانج لي-او بخنجر خبأه في أحشاء سمكة قُدمت على الطاولة، لكنه ما أن فعل فعلته حتى تحول إلى أشلاء صغيرة بفعل سيوف حراس الملك – على أنه نجح في تحقيق

ما ذهب من أجله. البطل الثاني سبقت شهرته الأول، حيث كانت مملكة لوو قد ا نزمت ثلاث مرات من مملكة تشي، وكانت على وشك الاستسلام مقابل التنازل عن قطعة كبيرة من أراضيها، فما كان من البطل كيو إلا أن وقف بخنجر مصوب إلى صدر هوان كنج، دوق مملكة تشي، وطالبه بتصحيح أوضاع معاهدة الاستسلام، إذ أن مملكة لوو صغيرة وضعيفة، فما كان من الدوق، الذي عجز حراسه عن الاقتراب منه خوفاً على حياته، إلا أن وافق على مطالب كيو. وقتها سحب كيو خنجره وذهب ليقف وسط الجموع المرعوبة دون أن يتغير لونه أو يرجف له جفن. أراد الدوق بعدها الرجوع في كلمته التي أعطاها، لكن مستشاره كوان شونج أوضح له توابع عودته في كلمته التي أعطاها، وهكذا حفظت شجاعة كيو المملكة من فقدان نسبة كبيرة من أراضيها التي خسر ا في ثلاث هزائم].

٢٩
يمكن تشبيه التكتيك الماهر بالثعبان شواي-جان، الذي تجده في جبال شانج، فما أن تضرب هذا الثعبان عند رأسه حتى تجده يهاجمك بذيله، وما أن تضرب ذيله حتى يهاجمك برأسه، وما أن تضربه في منتصف جسمه حتى يهجم عليك برأسه وذيله. [كلمة شواي-جان تعني السرعة المفاجئة في اللغة الصينية، وهي مأخوذة من عدم تردد هذا الثعبان في الهجوم الصاعق، وهي تطورت اليوم لتصبح مرادفاً عسكرياً للمناورات الحربية].

٣٠
إذا سألتني هل يمكن جعل الجيش يقلد ثعبان شواي-جان، أجيبك نعم. [اجعل مقدمة ومؤخرة الجيش سريعة الرد عند الهجوم على أحدهما، كما لو كانتا عضوين في جسد واحد]. فإذا كان رجال وو ورجال يوو ألد الأعداء، فهما إذا عبرا النهر في قارب واحد وأحاطت بهم عاصفة هوجاء فسيهبون لمساعدة بعضهما البعض تماماً مثلما تساعد اليد اليمنى اليسرى.
[المعنى أنه إذا كان العدوان سيساعدان بعضهما في وقت الخطر المحدق، فكيف سيساعد جزءان من الجيش بعضهما البعض، وهما يربطهما معاً رابط الاهتمام والمصلحة المشتركة، على أن ذلك أمر يجب التعامل معه بحذر، فكم من الجيوش دمرتها قلة الاتصالات فيما بينها، خاصة في حالة الجيوش المتحالفة].

٣١
لا يكفي ربط الخيول حتى لا تهرب، أو غرس عجلات العربات في الرمال حتى لا يفر الجنود.
[هذه كانت وسائل الهروب على وقت سون تزو، وهي كناية عن الوسائل التي تظن بها أنك ستمنع الجنود من الهرب من أرض المعركة. وفقاً لوجهة نظر سون تزو، ما سيمنع الجنود فعلاً من الهرب هو تماسكهم معاً ووحدة هدفهم].

٣٢
المبدأ الذي على أساسه تدير وتنظم شؤون الجيش هو عن طريق وضع معيار شجاعة يجب على الجميع بلوغه. [أن يكون الجنود جميعاً على قلب رجل واحد، أو على الأقل على مستويات متقاربة من الشجاعة].

٣٣
كيف تحقق أقصى استفادة من القوي والضعيف؟ هذا السؤال يتضمن الاستعمال الصحيح (الأفضل) للأرض. [أن تستفيد من القوي والضعيف معاً هو عن طريق جعل كلاهما مفيدين باستخدام المزايا المختلفة للأرض، فمثلاً القوات الضعيفة المتحصنة في مواقع قوية، سيمكنها القتال لذات الفترة الزمنية التي كانت لتمكثها القوات القوية في أراض أقل تحصناً وأكثر انفتاحا].

٣٤
القائد الماهر يقود جيشه كما لو كان يقود رجلاً واحداً، بسلاسة ويسر.

٣٥
عمل القائد هو أن يبقى هادئاً فيضمن السرية، وأن يكون مستقيماً وعادلاً، فيضمن استقرار النظام العام.

٣٦
ويجب عليه أن يثير حيرة ضباطه وجنوده (يخدع عيونهم وآذانهم) عن طريق المظاهر والتقارير الخادعة، وبذلك يبقيهم في حالة جهل تام.
[لا يجب على جنودك مشاركتك خططك في البداية، بل فقط عليهم أن يبتهجوا معك بالنتائج الإيجابية المترتبة على تخطيطك هذا. **أول أهم مبادئ الحرب أن تضلل وتحير وتفاجئ العدو،** لكن ماذا عن تضليل قواتك ورجالك؟ السرية التامة الكاملة تكون أحياناً من مفاتيح تحقيق النصر، حتى مع قواتك، والذين سيتصرفون وقتها بشكل طبيعي، ما يزيد من درجة تضليل العدو المُراقب لك].

٣٧
عبر تعديل ترتيباته وتغيير خططه [لا يستعمل خطة ما أكثر من مرة] سيُبقي القائد الحكيم عدوه غير واثقٍ في نواياه، غير واثقٍ في المعلومات التي لديه عنه. عبر نقل معسكرات الجنود وإتباع طرق ملتوية غير مباشرة، سيمنع العدو من توقع الهدف وراء مثل هذه التحركات.
[لدى شانج يوو تعليق على قدر كبير من الأهمية: حقيقة أن الحرب خدعة لا تتوقف عند حدود العدو وحسب، بل تتسع فتشمل رجالك وجنودك].

٣٨
عند اللحظة الحرجة/الحاسمة، يسلك القائد سلوك من تسلق قمة مرتفع عال ثم دفع السلم الذي تسلق عليه، فيحمل رجاله إلى أرض العدو دون أن يظهر يده. [أي يأخذ خطوات مصيرية تجعل من المستحيل على الجيش أن يتراجع، مثل حرق سفن نقل الجنود التي أقدم عليها طارق بن زياد وقت فتح الأندلس حين قال لجنوده العدو من أمامكم والبحر من خلفكم].

٣٩
سيحرق قواربه ويحطم قدور الطعام، مثل راع يسوق قطيعاً من الغنم، فيقود جنوده عبر هذا الطريق وذاك، دون أن يعلم أحد منهم إلى أين هو ذاهب.

٤٠
حشد الجنود والدفع بهم نحو الخطر – هذا هو عمل القائد. [ما يقصده سون تزو هو أنه بعد الانتهاء من التحركات والمناورات ولقاء العدو، هنا يجب عدم التأخر/التردد في إطلاق السهام نحو قلب العدو].

٤١
المقاييس المختلفة المناسبة للحالات التسعة للأرض هي: مدى ملائمة التكتيكات الهجومية أو الدفاعية، والقوانين الأساسية للطبيعة البشرية؛ هذه هي الأشياء التي يجب دراستها حتماً بعناية.

٤٢
عند احتلال أرض العدو، يكون المبدأ العام هو أن التغلغل في أعماق بلاد العدو يجلب التماسك والتلاحم لجيشك، بينما التغلغل لمسافة قصيرة يعني التشتت والتشرذم.

٤٣
عندما تترك بلادك وراءك، وتجتاز بجيشك أراض مجاورة تفصلك عن بلادك، فأنت وقتها فوق أرض حرجة. [يجب عليك أن تقضي حاجتك منها سريعاً وتمضي في طريقك – على أن هذه حالة نادرة الحدوث]. عند توفر خطوط اتصالات في الاتجاهات الأربعة، فالأرض تكون ذات طرق عامة متقاطعة.

٤٤
عندما تتوغل في أعماق بلد ما، فهي ستصبح أرضاً خطيرة، وعندما تتوغل لمسافة قصيرة، فهي أرض سهلة الانقياد.

٤٥
عندما تصبح حصون العدو خلفك، والممرات الضيقة أمامك، فالأرض تطبق عليك. عند انعدام الملاذ الآمن أو الملاجئ، فأنت تقف على أرض تدعو إلى اليأس.

٤٦
لذلك وعند الوقوف فوق أرض يائسة، سوف أُلهم رجالي وأبعث فيهم الأمل عبر وحدة الهدف. [اتبع منحى دفاعياً وتجنب المعركة]. عند الوقوف فوق أرض سهلة الانقياد، فسأتأكد وقتها من توفر صلات قريبة بين جميع وحدات جيشي.

٤٧
فوق الأرض المتصلة سأستعجل مؤخرة الجيش [فلا تطول المسافة بينها وبين مقدمة الجيش، وحتى يصل الاثنان معا إلى الهدف المطلوب في وقت واحد، لكن بما لا يتعارض مع مبدأ عدم الوصول إلى أرض المعركة ونحن في حالة إرهاق من التحركات والمناورات].

٤٨
فوق الأرض المفتوحة، سأبقي عيناً حذرة بشدة على دفاعاتي. وفوق الأرض ذات الطرق العامة المتقاطعة، سأقوي تحالفاتي.

٤٩
فوق الأرض الخطرة، سأعمل على توفير خطوط إمداد متواصلة. [والعهدة على المعلقين: عبر السرقة والنهب وجمع المؤونة، وليس –كما سيتراءى للكثير منكم- عبر خطوط اتصال غير مقطوعة مع قواعدنا الأساسية]. فوق الأرض الصعبة، سأستمر في المشي السريع فوق الطريق.

٥٠
فوق الأرض المُطبقة، سأسد أي طريق محتمل للهرب. [تفسير ذلك قد يكون لحماية موقعنا الحالي، لكن الغرض الفعلي والحقيقي هو أن نُطبق كالصاعقة على خطوط العدو فنفصلها ونفتح فرجة نمر منها إلى بر الأمان]. فوق الأرض اليائسة، سأعلن للجنود عن انعدام الأمل في إنقاذ أرواحهم. [اردم آبارك واكسر قدورك واحرق أمتعتك، واجعل حقيقة كون القتال السبيل الأوحد للنجاة واضحة تماماً في عيون الجنود].

[**ملحوظة من الترجمة الإنجليزية**، من الواضح أن النص الأصلي الذي كتبه سون تزو لم يصل إلينا كما كتبه هو، بل تعرضت أجزاء منه للضياع، وعابه عدم الترتيب على الوجه الذي أراده له سون تزو، ونلاحظ ذلك من الطول المضاعف لهذا الفصل، ومن القصر غير المبرر للفصل الثامن – وعدم تناغم عنوانه مع محتوياته، ومن تكرار التحدث عن الحالات التسعة، ثم ذكر بعضاً منها لا كلها، وتكرار ذكرها في الفصل الحادي عشر، ولذا وجب أخذ ذلك كله في الحسبان عند القراءة وملاحظة تعارض بعض النقاط مع بعضها البعض].

٥١
ذلك لأن من طبيعة الجندي إبداء أقصى درجات المقاومة عند حصاره، وأن يقاتل بشراسة الأسد الجريح عند عجزه عن مساعدة نفسه، وأن يطيع طاعة عمياء عندما تحيق المخاطر به.

٥٢
لا يمكن لنا الدخول في تحالفات مع جيراننا من الأمراء حتى نلم جيداً بمخططاتهم وأهدافهم. لسنا مهيئين لقيادة مسيرة الجيش ما لم نكن على دراية ومعرفة تامة بطبيعة تضاريس الأرض التي سيسير عليها الجيش؛ جبالها وغاباتها، أخطارها وأجرافها، مستنقعاتها وأخوارها. لن نتمكن من استغلال المزايا الطبيعية لصالحنا ما لم نستفد من المرشدين المحليين. [هذه الجمل الثلاثة مكررة من الفصل السابع ١٢-١٤ لأهميتها ولتشكل مدخلاً لما سيلي].

٥٣
الجهل بأي من المبادئ التالية لا يتناسب مع أمير حرب.

٥٤
عندما يهجم أمير حرب على ولاية قوية، تتجلى قدراته القيادية في صورة منع تركيز العدو لقواته، وهو يلقي الرعب في قلوب خصومه، ويمنع حلفاء الخصوم من الاشتراك في المعركة ضده. [تشتيت صفوف العدو يمنحك تفوقاً في جانب القوة، هذا التفوق يرهب العدو، هذه الرهبة هي التي ستمنع جيران العدو من الهبوب لمساندته، وإذا خاف الجيران فذلك سيلقي الخوف في قلوب الحلفاء فيمنعهم من الانضمام للعدو].

٥٥
أمير الحرب لا يكافح من أجل التحالف مع كل ومختلف الناس، وهو لا يزيد من قوة الولايات الأخرى. أمير الحرب يقوم بتنفيذ مخططاته، مع إرهاب خصومه. بذلك يتمكن الأمير من الاستيلاء على مدن الخصوم وتدمير مملكاتهم.

٥٦
امنح المكافآت دون الاعتداد بالقواعد المنظمة لذلك [كافئ بسخاء من يبدي الشجاعة، وعاقب الجبن والفرار]، أصدر الأوامر دون الاعتداد بالترتيبات السابقة [لمنع تفشي الخيانة، يجب عليك إصدار مثل هذه النوعية من الأوامر عند رؤية العدو، وكافئ بسخاء عندما تجد أمارات الشجاعة على الجنود] وبذلك ستتمكن من التعامل مع الجيش بأكمله كما لو كنت تتعامل مع جندي واحد.

٥٧
واجه جنودك بالأوامر، ولا تجعلهم يعرفون مخططاتك [لا تبرر أو تفسر للجنود قراراتك]. عندما تتضح النتائج الإيجابية لقراراتك، اجعلها واضحة جداً أمام أعين الجنود وأنظارهم، ولا تخبرهم أي شيء عندما تتأخر مثل هذه النتائج الإيجابية.

٥٨
سر بجيشك إلى قلب الخطر، وهو سينجو منها، ادفع به إلى المضايق والمواقف العصيبة اليائسة، وهو سيخرج منها سالما.

٥٩
لأنه بالتحديد عندما تقف قوة ما في طريق الخطر، فهي قادرة على تحقيق النصر [الخطر له تأثير مقوي يُظهر شجاعة الرجال].

٦٠
الانتصار في الحرب يتحقق عن طريق استعدادنا التام لتوفيق أوضاعنا بدقة حسب غرض العدو. [تظاهر بالغباء، بالانصياع لرغبات العدو وتحقيقها. إذا أظهر العدو رغبته في التقدم، اظهر له ما يغريه ويشجعه على ذلك؛ إذا كان العدو متلهفاً للانسحاب، تأخر وتلكع عن عمد كي تشجع العدو على تراجعه. الغرض في النهاية هو دخول العدو حالة من التكاسل والتراخي حتى يكون في وضع مُزري قبل أن نهجم عليه].

٦١
من خلال إصرارنا المستمر على تطويق العدو [ملازمته من اتجاه واحد] فسننجح على المدى الطويل [حرفياً ألف وحدة مسافة لـي] في قتل قائد العدو.

٦٢
هذا ما يسمى القدرة على تحقيق أي شيء ببراعة ومكر تامين.

٦٣

في ذلك اليوم الذي تتولى أنت فيه القيادة (بعد هزيمة العدو ومقتل قائده) قم بسد جميع الممرات على الجبهة، ودمر نقاط المرور (الجوازات في يومنا هذا) وأوقف مرور جميع البعثات [من وإلى داخل بلد العدو].

٦٤
كن شديد الصرامة في مجلس الشورى [كن شديد الإصرار على أن يقر الحاكم ويصدق على خططك] حتى تكون دائماً سيد الموقف متحكماً في مجريات الأمور.

٦٥
إذا ترك العدو باباً مفتوحاً، فيجب عليك أن تهرع داخلاً فيه.

٦٦
أحبط مخططات عدوك عبر الاستيلاء على ما هو غال وثمين في نظر العدو، ثم احتل برقة وخبث حتى تتحكم في الوقت الذي سيصل فيه العدو إلى أرض المعركة. [إذا تمكنت من احتلال نقطة هامة في نظر العدو – لكن العدو لم يظهر بعدها في ساحة المعركة ليستعيدها، فالأفضلية التي حصلت عليها لم تستفد منها بشكل عملي. ولذا، فعلى من ينوي احتلال موقع ذي أهمية للعدو، عليه أن يبدأ بتدبير موعد بارع وخبيث للقاء العدو، ثم يبدأ في تملقه ومداهنته حتى يحضر العدو في الموعد الذي تحدده [هذا الموعد تعبر عنه من خلال جواسيس العدو، الذين سيعودون ومعهم من المعلومات ما تريده لهم، وبذلك نكون أظهرنا نوايانا بطريقة بارعة وماكرة. يجب علينا التحرك بعد تحرك العدو، لكن علينا الوصول لأرض المعركة قبل وصول العدو فنحتل هذه النقطة الثمينة].

٦٧
سر في الطريق الذي تحدده القاعدة، وقم بتوفيق أوضاعك حسب العدو حتى يمكنك الدخول في معركة حاسمة مصيرية. [النصر هو الشيء الوحيد الذي يهم، ولا يمكن تحقيقه بإتباع الطرق التقليدية المعتادة. **لم ينتصر نابليون في حروبه إلا بعدما كسر كل قاعدة حربية قديمة تمسك بها المهزومون على يديه**. تكيف مع تكتيكات العدو حتى تلوح الفرصة السانحة، ثم تقدم واشتبك معه في معركة تحدد مصير القتال].

٦٨
في البداية، أظهر خجل العذراء اليافعة، حتى يكشف العدو عن ثغرة في صفوفه، بعدها نافس الأرنب البري في سرعته الشديدة وأنت تهجم على العدو، فيكون الوقت متأخراً عليه كي يقاوم أو يصد هجومك.

الفصل الثاني عشر

The Attack By Fire الهجوم بالنار

١

قال سون تزو:

هناك خمسة طرق للهجوم بالنار:

الأولى أن تحرق جنود العدو في معسكراتهم

الثانية أن تحرق مخازن العدو (مخازن الذخيرة والمؤونة والوقود)

الثالثة أن تحرق وسائل النقل والإمدادات

الرابعة أن تحرق أسلحة العدو وذخيرته

الخامسة أن تقذف النار بين صفوف العدو (مثل كرات اللهب والأسهم المشتعلة)

٢

لكي نقوم بالهجوم، يجب أن يكون لدينا طرقاً ملائمة لذلك، ويجب أن تكون المكونات والأدوات اللازمة للهجوم في حالة استعداد تام على الدوام.

٣

هناك موسم ملائم للهجوم بالنار، وهناك أيام بعينها تناسب إشعال الحرائق الواسعة.

٤

الموسم الملائم هو عند جفاف الطقس بشدة، والأيام المناسبة هي عندما يكون القمر هلالاً (سابع يوم في الشهر القمري) و بدراً (يوم ١٤) ومحاقاً (يومي ٢٧ و٢٨) إذ أن هذه الأيام الأربعة تشهد رياحاً نشطة.

٥

عند الهجوم بالنار، يجب الاستعداد لتطورات خمسة يمكن حدوثها:

٦

١- عندما تمتد النيران من قلب معسكر العدو إلى خارجه، عندها يجب الهجوم على الفور من الخارج.

٧

٢- إذا امتدت النيران لكن جنود الأعداء التزموا الهدوء ورباطة الجأش، فانتظر حلول الوقت الملائم ولا تهاجم. (الغرض من الهجوم بالنار بث الفوضى في صفوف العدو – فإذا لم يُصب العدو بالذعر فهذا معناه أنه مستعد لك ينتظرك فيجب الحذر).

٨

٣- عندما تبلغ ألسنة اللهب أقصى ارتفاع لها، اتبعها بالهجوم إذا كان ممكناً، فإن لم يكن ممكناً فابق مكانك. (إذا وجدت فرجة فاستغلها وتقدم، وإذا كانت المصاعب جسام فالزم مكانك).

٩

٤- إذا لاحت الفرصة للهجوم بالنار من خارج معسكر العدو، فلا تنتظر حتى يحترق المعسكر من داخله، لكن اختر الوقت المناسب للهجوم (قد لا يكون في معسكر العدو أي شيء تشتعل فيه النار فيطول انتظارك وقتها لاشتعال النار).

١٠

٥- عندما تشعل ناراً، أشعلها في الجهة التي تهب منها الريح. لا تهاجم باتجاه الريح. (إذا حاصرت العدو بين جيشك وبين النار المشتعلة التي تهب باتجاهه فسيستبسل في القتال، كما ستتضرر أنت من النار أيضاً).

١١
الريح التي تهب في وقت النهار تستمر لفترة طويلة، لكن نسمات الليل تهدأ بسرعة.

١٢
في كل جيش، يجب أن تكون التطورات الخمسة المتصلة بالنار معلومة جيداً، ويجب حساب حركة النجوم، ومعرفة الوقت لحساب الأيام بدقة. (لمعرفة أوقات هبوب الرياح، وللاستعداد أيضاً للعدو إذا كان بدوره ينتظر موسم الرياح).

١٣
إذن أولئك الذين يستعملون النار لتساعدهم في الهجوم يتحلون بالذكاء، وأولئك الذين يستخدمون المياه لتساعدهم في الهجوم يحصلون على قوة إضافية.

١٤
عن طريق المياه يمكن اعتراض العدو، لكن لا يمكن سرقة جميع ممتلكاته. (للمياه مفعول كبير، لكنه لا يعادل تأثير النار التدميري، كما أن المياه يمكنها إطفاء النار وإفقادها تأثيرها إذا كان معسكر العدو بالقرب من مصدر مياه).

١٥
شقيٌ مصيرُه - من يحاول الانتصار في معاركه والنجاح في هجومه دون تنمية روح المغامرة لدى جنوده، وتكون النتيجة ضياع الوقت والمجهود. (يجب مكافأة المجيدين وتوزيع الغنائم، كما يجب تحين الفرص واستغلالها على الفور).

١٦
الحاكم المستنير يضع خططه مقدماً، والقائد الناجح يرعى مصادره وجنوده (عن طريق الثواب والعقاب والمكافآت).

١٧
لا تتحرك حتى ترى فرصة تنتهزها، ولا تستعمل قواتك ما لم يكن هناك فائدة ترجوها، ولا تقاتل ما لم يكن موقفك حرجاً.

١٨
لا يجب على الحاكم أن يضع قواته في الميدان استجابة لثورة غضب، ولا يجب على القائد أن يخوض معركة فقط بسبب جرح طال كبريائه.

١٩
تحرك للأمام إذا كان ذلك في مصلحتك، وإلا فالزم مكانك.

٢٠
الغضب – مع مرور الوقت – قد يتحول إلى بهجة، وسبب الغيظ يمكن التغلب عليه بالقناعة ورضا النفس.

٢١
لكن عندما يتم تدمير مملكة بأكملها فلا يمكن إعادتها كما كانت من جديد (الموتى لا يعودون للحياة).

٢٢
إذاً الحاكم المستنير يحترس، والقائد العام يكون شديد الحذر. هذه هي السبيل لإبقاء الدولة في حالة سلام (داخلي وخارجي) مع إبقاء الجيش كاملاً وسليماً ومستعداً.

الفصل الثالث عشر

استعمال الجواسيس Using Spies

١
قال سون تزو:
إن تجميع مئة ألف من الجنود الرجال، والسير بهم لمسافات طويلة في مناورات حربية، كفيل بأن يوقع خسائر ثقيلة على أفراد الشعب ويستنزف موارد الدولة، إذ سيبلغ معدل الإنفاق الحكومي اليومي آلاف الأونصات من الفضة، وسينتشر الهرج والمرج وتعم الفوضى داخل البلاد وخارجها، وسيسقط الجنود من الإرهاق جراء سيرهم المسافات الطويلة على الطرق، وستزيد معاناتهم كلما أوغلوا في الأراضي المعادية، وسيتضرر الآلاف من الأسر في أعمالهم وأرزاقهم.

٢
قد تقابل الجيوش المتحاربة بعضها البعض في حروب استنزاف تستمر سنين، يصارع خلالها كل طرف لاقتناص النصر المظفر، والذي قد يتحدد في يوم واحد. أن تبقى جاهلاً بحالة العدو لأنك ترفض إنفاق حفنة أونصات من الفضة لشراء ذمم ورواتب الجواسيس لهو عمل يمثل قمة اللاإنسانية.

٣
من يتصرف بهذه الطريقة ليس بقائد كفؤ للأفراد، ولا يقدم يد المساعدة لحاكمه، وليس بجالب للنصر.

٤
وهكذا - فإن العنصر الذي يُعِين الحاكم الحكيم والقائد العسكري المحنك على تنفيذ الضربات القوية وتحقيق النصر، التي لا يمكن للرجال التقليديين تحقيقها، هذا العنصر هو المعرفة المسبقة بأمور العدو.

٥
لا يمكن الحصول على هذه المعرفة المسبقة عن طريق استحضار الأرواح أو استجداء الآلهة، أو بناء على سنوات الخبرة والتوقعات المدروسة، أو من الحسابات الفلكية أو النجوم.

٦
تحركات ونوايا العدو الفعلية يمكن معرفتها فقط من خلال رجال آخرين. (رغم التقدم التقني الكبير الذي حققه الأمريكيون، لكن باعترافهم هم شخصيا، لا شيء يعدل معلومة سربها جاسوس من أرض العدو، خاصة إذا كان هذا الجاسوس من رجال العدو).

٧
هكذا تبرز الحاجة الماسة لاستعمال الجواسيس، الذين ينقسمون إلى خمس فئات:
١- المحليون (المواطنون)
٢- الداخليون
٣-المنشقون (المزدوجون)
٤-الهالكون (المضللون)
٥-الاستراتيجيون (الباقون أحياء)

٨
عندما تعمل جميع فئات الجواسيس معاً في وقت واحد وفي انسجام تام، فلا يستطيع أحد وقتها اكتشاف هذا التنظيم السري. ذلك هو أكثر التنظيمات الاستخباراتية أهمية عند الحاكم.

٩
استعمال جواسيس محليين يعني توظيف خدمات أولئك القاطنين في الأحياء السكنية.
(يشرح تو مو هذه النقطة بقوله: تودد إلى سكان أحياء العدو وأكسبهم إلى صفك ليكونوا جواسيس لك).

١٠
استعمال جواسيس داخليين يعني الاستفادة من ضباط جيش العدو.
(يستطرد تو مو: عليك الاقتراب بحذر من ضباط وعسكر العدو المتذمرين، الذين تعرضوا لتخطيهم في الترقيات أو الطماعين أو غير الراضين عن أحوالهم العامة، أو المتمردين المحكوم عليهم بعقوبات، أو القيادات العسكرية المهمشة التي تريد إلحاق الفشل بصفوفها لتثبت أ ا على حق فيما ذهبت إليه من رأي).

١١
استعمال جواسيس منشقين يعني بسط السيطرة على جواسيس العدو وجعلهم يعملون لصالحك.
(لا زلنا مع تو مو الذي يعقب قائلاً إن المنشقين يعملون على إعطاء معلومات غير صحيحة للعدو عنا، ولا يقتصر الأمر على استمالة أفراد ليعملوا جواسيس لنا، إذ يمكن التستر على جواسيس العدو لدينا وعدم إشعارهم بأن أمرهم قد اكتشف، مقابل الحرص على تزويدهم بما نريده من معلومات، لينقلوها بدورهم إلى العدو، دون فطنتهم للأمر).

١٢
استعمال جواسيس مضللين هالكين، لا ينفذون سوى أعمال محددة في وضح النهار بغرض الخداع، لكي يعرفهم جواسيس العدو ويبلغون عنهم العدو، وتزويدهم بمعلومات زائفة، حتى إذا تم اكتشافهم والقبض عليهم واعترفوا تحت ضغط تعيب العدو، كانت المعلومات التي باحوا بها للعدو مضللة غير حقيقية.

١٣
الجواسيس الباقون على الحياة هم من يعودون أحياء ومعهم الأخبار من معسكر العدو.

١٤

لا تجد شيئًا في أمور الجيش كله يفوق أهمية الحفاظ على علاقات قريبة وحميمة مع الجواسيس، كما لا يجب أن يفوق أي شيء مكافأة هؤلاء الجواسيس بسخاء، ولا يجب أن يفوق أي شيء السرية التامة للتعامل مع الجواسيس. **يجب أن يتمكن الجواسيس من الوصول للقائد بكل سهولة وفي كل وأي وقت**. الجواسيس – بحكم طبيعتهم- دائماً ما يتعاونون مع من يدفع أكثر، لذا لا يجب أن يعرفوا أي شيء أكثر مما ينبغي، ويجب الحرص منهم دائماً، إذ يمكن أن يكونوا مزدوجين أو ينشقوا عليك فيما بعد.

١٥
لا يمكن توظيف الجواسيس بدون مبادئ عامة حكيمة ومفهومة وواضحة. يجب أن يكون القائد عالماً بحقائق الأمور، فيعرف الصدق من الكذب، ويعرف الأمين من المخادع.

١٦
لا يمكن إدارة شئون الجواسيس بنجاح من دون إظهار النوايا الطيبة والوضوح التام والصدق الكامل في التعامل. يجب أن تكسب ثقة الجاسوس تماماً.

١٧
بدون إعمال العقل والتفكير في تقارير المعلومات الواردة من الجواسيس، لا يمكن لأحد أن يكون واثقاً تمام الثقة من صحة هذه المعلومات الاستخبارية.

١٨
كن دقيقاً بارعاً، واستعمل الجواسيس في شتى الأمور والمجالات.

١٩
إذا تم تسريب معلومات سرية إلى أي جاسوس قبل حلول الوقت المناسب لذلك، فاقتل هذا الجاسوس وكل من نقل إليه هذا السر. قتل مثل الجاسوس الشارد إنما هو عقاب له، وقتل المُسرب هو للقضاء تماماً على هذا التسريب.

٢٠
بغض النظر عما إذا كان الهدف هو قهر عدو أو غزو مدينة أو اغتيال فرد ما، فيجب أن تبدأ بمعرفة قائمة أسماء الجميع، من مساعدين وعاملين وحراس، ويجب توجيه الجواسيس ليؤكدوا صحة هذه الأسماء. يجب بحث إمكانية استمالة أي من هؤلاء بالرشوة بالمال.

٢١
يجب البحث عن جواسيس الأعداء الذين قدموا إلينا من أجل التجسس، وأن يتم إغرائهم بالرشاوى، وأن يتم إبعادهم وتسكينهم في أماكن بعيدة ومريحة. بذلك سينشقون ويصبحون جواسيساً لنا مستعدين لخدمتنا.

٢٢
من خلال المعلومات التي يمدنا بها الجواسيس المنشقون، يصبح بإمكاننا الحصول على وتوظيف جواسيس محليين وداخليين.

٢٣
بناء على هذه المعلومات أيضاً، يمكننا تزويد الجواسيس الهالكين (المضللين) بمعلومات زائفة يمررونها للعدو.

٢٤
أخيراً، وبناء على كل هذه المعلومات، يمكن استخدام الجواسيس الاستراتيجيين في مهمات محددة.

٢٥
الغرض والغاية من التجسس بكل صوره الخمسة السابقة هو معرفة أخبار العدو، تلك المعرفة التي يتم الحصول عليها في البداية من الجواسيس المنشقين (المزدوجين)، ولذا يجب معاملة أولئك الجواسيس بكل سخاء وكرم.

٢٦
وكأمثلة على ذلك، فإن التاريخ القديم يخبرنا عن بزوغ نجم سلالة ين بسبب آي تشي الذي خدم تحت هسيا، وكذلك صعود سلالة تشو بسبب لو يا الذي خدم تحت ين.

٢٧
الحاكم المتنور والقائد الحكيم هما من يستخدمان أفضل المعلومات الاستخبارية العسكرية لأغراض التجسس وبذلك يحققان النتائج العظيمة. الجواسيس هم أكثر العناصر أهمية، لأن قدرة الجيش على رؤية العدو وفهمه ومن ثم الاستعداد له تعتمد عليهم، على أن الإفراط في الاعتماد على الجواسيس قد يؤدي لأثر عكسي، لذا فيجب الموازنة بين جميع العناصر الاستخباراتية والمعلوماتية.

الخاتمة

في الختام، يجب علينا أن نتذكر دائماً الماضي الحافل للصين، صاحبة السور العظيم، الذي من ورائه وقف جيش جرار عرمرم يحرس الحدود والتخوم، ويجب ألا ننس أن التاريخ الصيني القديم يحكي عن صولات وجولات وفتوحات عسكرية بفترة طويلة سبقت بزوغ نجم أول قائد عسكري روماني، وعليه يجب أن نستعد لمستقبل الصين، ذاك التنين الذي يبني نفسه بقوة، ولديه من الموروثات التاريخية والشعبية ما يكفيه لكي نصحو يوماً فنجد الصين وقد أصبحت الدولة الأولى والأقوى، ولا أحيد كثيراً إذا توقعت يوماً أن نقبل على تعلم اللغة الصينية كما نتعلم اللغة الإنجليزية اليوم، ومن يختلف معي أنصحه بإعادة قراءة هذا الكتاب مرة أخرى.

نقطة أخيرة يجب التنبيه لها، نعم في هذا الكتاب الكثير من الحكمة الخالصة، لكنه ليس منزها عن الخطأ، ولذا يجب القراءة بعقل متفتح، يقيس ويقارن ويدقق، ثم يأخذ ما يناسبه، ويدع غير ذلك.

المترجم: رءوف شبايك

موقعي: Shabayek.com

بريدي: Shabayek@gmail.com